معالم في دعوة النصارى من سورة آل عمران

تدبر لآيات السورة ، فيه حجج وبراهين، رد على الشبهات ، وسائل وتوجيهات دعوية

إعداد/

م.توفيق بن محمد أبوحوسة العويضي

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .

فإن الله تعالى أنزل كتابه ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ ، ودليلاً مرشداً لطالب الهداية . فيه برهان كل قضية تدل عليه جل وعلا .وتبيانٌ لكل سبيل يُوصل إليه سبحانه وتعالى .ونورٌ يضيء الصدور ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ ﴾ النساء: ١٧٤ .

ولدعوة أهل الكتاب نصيبٌ من آيات هذا الكتاب تبياناً ومحاجة . دعوةً وجدالاً بالتي هي أحسن .ولمَّا كان محورُ سورةِ آل عمران هو محاجةُ أهل الكتاب ، وإبطالُ عقيدتهم المنحرفة في الله جل وعلا ،وفي المسيح عليه السلام، وبيانُ صدق ما جاء به النبي محمد ﷺ ،كما ذكر محمد بن إسحاق وغيرواحد أن صدرسورة آل عمران إلى ثلاث وثمانين آية منها نزلت في وفد نصارى نجران [1].

وقد ذكرشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الآيات التي تلي آية المباهلة نزلت قبل قصة وفد نجران وأنها تعم أهل الملتين اليهود والنصارى(٢).

لذا كان تدبُّرُهذه السورة من شأنه أن يرسم طريق دعوة النصارى للإسلام ؛لمن تعرَّض لهذه المهمة العظيمة .

فبدأتُ قراءة السورة متلمساً بعض هذه الحُجج والبراهين والوسائل في جدالهم ، إما نقلاً من تفسيرها ، أوتدبراً لآياتها ، أواقتباساً ممن استشهد بمواضيعها في كتب شتى .

وأحب أن أبين أهدافي من هذا البحث وهي :

١.بيان حُججٍ قوية وواضحة في دعوة أهل الكتاب يسهل تناولها من قِبَل الدعاة وَمَن يحاورهم .

٢. وضع معالمٍ لأسلوب دعوة النصارى ووسائل جدالهم .

٣. إشارات للمسلم الجديد وتربيته .

٤.فهم أعمق لكلام الله تعالى والمقصود منه ؛ على الجانب الشخصي .

٥. نقلت كثيراً من نصوص العهد القديم والجديد في سياقها المناسب لإقامة الحجة على من يؤمن بها ويعتقدها .

---

[1] تفسير ابن كثير ٧١٩/٢

(٢) الجواب الصحيح ١٤٠/١

وآثرت ترتيب الموضوع حسب ترتيب الآيات ؛ فهو يتيح مساحة للاستنباط وإثراء المعلومة . وترتيبُ الآيات في السورة يُشكِّل بناء مترابطاً للمتلقي ، إلا أني وفي بعض الفقرات التي جاءت الآيات معززة تماماً لفكرة واحدة من -رؤيتي في البحث - فقد جمعتها اتقاء التكرار لقارئ البحث. ولا يخفى أن هذا العمل غَرضٌ من الأغراض عرضة للاستدراك والتصويب فأسعد بأي ملاحظة تثري البحث أو تعقُبٍ يسد الخلل .وأشكر الإخوة الكرام الذين اطلعوا على البحث وأرسلوا ملاحظاتهم القيمة وتصويباتهم فأثابهم الله .

وربنا الرحمن المرجو أن يبارك فيما يُطرح في هذه الورقات، ويجعله خالصاً صواباً متقبلاً إنه هو السميع العليم .

سورة آل عمران

وقد سمَّاها النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أوكأنهما غيايتان أوكأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما "[1]

فائدة (١) :

جاءت تسميةُ السورة بآل عمران كبداية مثيرة تنقض عقيدة النصارى في كون عيسى عليه السلام إله أو ابن إله ، فهي تشير إلى أنه بشرٌ معروف العائلة ، وأنَّ نسب أُمَّه معروفٌ .ومن العجيب أن إنجيل (متى الإصحاح الأول ١:١٦) وإنجيل (لوقا) الإصحاح الثالث يذكر نسب المسيح عليه السلام فهي إشارة ضمنية إلى أنه من سلالة بشر معروف النسب .

وقد نقل ابن تيمية رحمه الله عمن ناظره قولهم : " وقال أرميا النبي عن ولادته في ذلك الزمان : (يقوم لداود ابنٌ هو ضوء النور) [2]

يقول ابن تيمية : وأما قوله "ابن لداود " لأن مريم كانت من نسل داود فهو بشر (الناسوت) فإن اللاهوت ليس هو من نسل البشر.[3]

[1] صحيح مسلم برقم ٨٠٤
[2] سفر الخروج : ١:٧
[3] الجواب الصحيح ٧٤٩/١

﴿ الٓمٓ ١ ﴾

فائدة (٢) :

بداية آل عمران بالحروف المقطعة مع استحضار نزولها في نصارى نجران ، وإن كانوا عَرباً يبين لنا أهمية البدايات المثيرة ، والتي تشدُّ الانتباه عند مناظرة أهل الكتاب وتعزِّزُ الثقة والتحدي مع المناظر. فبراعة الاستهلال تأسر لُب المتلقي ، وتسترعي اهتمامه وتركيزه .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢ ﴾

فائدة(٣)

وُصِف اللهُ تعالى في هذه الآية بهاتين الصفتين (الحياة - القيومية) اللتين تضمنهما اسماه الحي القيوم فهو " حي حياة كاملة لا موت فيها ولا نقص .والقيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع خلقه " [١].

وفي هذا ردٌ على النصارى الذين يدّعون ألوهية المسيح عليه السلام ؛فالإله الحق له الحياة التامة والتي لم تسبق بعدم ، ولا يلحقها فناء ، ولا يتخللها موت . كذلك هو قائم على جميع شؤون خلقه ومدبرٌ لمصالحهم يعلم ما يلج في الأرض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها . وهذا يتعارض مع واقع عيسى عليه السلام الذي أتى عليه حينٌ من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً. ويخالف ما يعتقده النصارى في عيسى عليه السلام ؛بأنه يُقبر ثلاثة أيام (إنجيل متى ٤٠ : ١٢) فكيف لإله يموت ويغيب عن تدبير خلقه ؟ وكذلك عيسى عليه السلام لم يُكتب له الخلود الأبدي بل سيأتي عليه يوم يموت فيه ، ويوم يبعث فيه حياً .

[١] المختصر في التفسير ٤٢

وقد جاء هذا المعنى في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد نجران ، كما نقله ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره : (فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه ؟ قالوا نعم . قال : ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت ، وأن عيسى يأتي عليه الفناء ؟ قالو : بلى . قال : ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه ؟ قالوا بلى . قال : فهل يملك عيسى من ذلك شيئا ؟ قالوا : لا .)[1]

فائدة (٤)

في هذه الآية لفتة أن أول ما نبدأ به في دعوة غير المسلمين هو التعريف بديننا الحق ، قبل أن نتطرق للخلل والتناقض في دينهم وأن نبيّن ونعرّف بالإله الحق ؛ المستحق للعبادة وبصفته التي لا ينبغي أن يُؤمَن إلا بمن اتصف بها .

يقول ابن تيمية رحمه الله " والقيوم القائم المقيم لما سواه فلو جعلت له سِنَة أو نوم لنقضت حياته وقيوميته ، فلم يكن قائماً ولا قيوماً كما ضرب الله المثل لبني إسرائيل لما سألوا موسى : هل ينام ربك ؟ فأرَّقه ثلاثاً ثم أعطاه قوارير فأخذه النوم فتكسرت . بيَّن بهذا المثل أن خالق العالم لو نام لنفد العالم "[2] .

فالطريقة المثلى هي في بيان محاسن الدين الإسلامي وبضدها تتميز الأشياء. فكثيراً ما نرى بعض المحاورين لأهل الكتاب يبدأون خطابهم بالحديث عن تناقضات كتاب النصارى ويُغرِقون في تفاصيل هذا الأمر ، لكني أرى - ومن خلال تجربة - أن أقرب الأساليب لقبول قول الداعي ؛ هو البدء بالتعريف بالإسلام ومحاسنه وسيأتي في الآية رقم (٢٠) من السورة إن شاء الله إشارة لهذا الأسلوب.

فائدة(٥)

فيها الفرق بين القرآن والكتب المحرفة في وصفها لله عزوجل . ففي القرآن تجد صفات الكمال والجلال لله تعالى ونفي النقص عنه جل وعلا بخلاف ما عليه كتبهم المبدلة المحرفة ، فهم ينسبون لله تعالى مالا يليق به . من ذلك نسبتهم التعب والحاجة للراحة لله تعالى ، ففي

[1] تفسير ابن جرير الطبري ٢١٢/٣
[2] الجواب الصحيح ٦٤٥/١

سفر التكوين " وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل " فاستراح في اليوم السابع " [1]

قارن ذلك وبين قوله تعالى في الذكر الحكيم في سورة ق ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ ق: ٣٨ [2]، وغيرذلك من المفارقات بين القرآن وكتبهم المحرفة ، والتي ضمت من الأوصاف التي لا تليق بالله تعالى ولمزيد من هذه النماذج يراجع كتاب المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل لساجد مير [3]

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾

فائدة (٦)

قال الله عزل وجل ﴿ نَزَّلَ ﴾ في حق القرآن ﴿ وَأَنزَلَ ﴾ في التوراة والإنجيل . ونزّل تناسب التكثير، فالقرآن نزل منجماً مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة وفي التوراة والإنجيل قال أنزل لأنها نزلت دفعة واحدة كما قال أهل العلم وقد قرر هذا المعنى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله [4].

وهنا مدخل في إقناع غيرِ المسلم بصدق القرآن ، والذي نزل في هذه الفترة الطويلة ومع ذلك لم نجد فيه تبايناً ولا اختلافاً في رسالته وسمو معانيها ، ولم يستطع أحد معارضته ، ولا المجيء بمثله ، ولم يخطئ في خبر قط ؛ مع تعدد حوادثه وتكرارها فسبحان من هذا كلامه ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢

فائدة (٧)

وُصفَ القرآنُ في هذه الآية بـ ﴿ مُصَدِّقًا ﴾

أولاً: المقصود به .

---

[1] التكوين ٢:٢

[2] هذه المقارنة في الآية مقتبسة من كلام أحمد ديدات رحمه الله في إحدى مناظراته

[3] المسيحية دراسة وتحليل ص ٢٨٥ .

[4] تفسير سورة آل عمران ١٠/١

المعنى الأول : أن القرآن يشتمل على الهدى الذي جاءت به الكتب السابقة ، من الدعوة للتوحيد والأمر بالفضائل واجتناب الرذائل ، وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ ، ومن الوعد والوعيد وَالْمَوَاعِظِ وَالْقَصَصِ.

المعنى الثاني: أن الكتب قبل القرآن بشرت بما في القرآن وبصفة محمد ﷺ فجاء القرآن على ما ذكروا من الصفات فصدقها.

ثانياً : الجانب الدعوي في الآية:

على المعنى الأول:

من تتبع أحوال الناس بعد عيسى عليه السلام وما عليه الأمم من الإشراك بالله وعبادة الأوثان ، وقَارَنَ ما أتى به القرآن الكريم من مبادئ التوحيد ، والإيمان باليوم الآخر، والأنبياء والملائكة وجد جلياً أن القرآن والكتب السماوية قبل تحريفها كانت من مشكاة واحدة .وبعد تحريفها بعموم ما جاءت به من الإيمان بالله ، والإخلاص له ، والإيمان بأمور الغيب . فابتعاد الناس عن سبيل الله أبعدهم عن قبول المعتقدات الغيبية ، فجاء القرآن يقرر هذه الحقائق ، كما في حديث الحبر اليهودي الذي جاء للنبي ﷺ يخبره عن أن الله تعالى يوم القيامة يمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع... الحديث

"فضحك النبي ﷺ تعجبا وتصديقا له "[1].

وغيرها من المعاني التي قد يستوحش معتقدها إذا لم يجد من يوافقه ويصدقه .فهذا المدخل وسيلةُ إقناع في قبول الحق الذي جاء به القرآن.

يقول ابن تيمية رحمه الله : " شهد بمثل ما فيها من الأخبار، وقرر ما في الكتب المتقدمة من أصول الدين وشرائعه الجامعة ، التي اتفقت عليها الرسل كالوصايا المذكورة في آخر سورة الأنعام ، وأول سورة الأعراف ، وسورة سبحان ، ونحوها من السور المكية ."[2]

وقد ذكر أبو العباس ابن تيمية رحمه لله ، عدة وجوه في بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدق النبي صلى الله عليه وسلم في ما كذبه الكافرون .[3]

على المعنى الثاني:

وقد كُتبت فيه كتب تذكر ما بشرت به التوراة والإنجيل من صفة النبيﷺ وصفة أصحابه ومطابقتها لصفته عليه الصلاة والسلام وما أخبر عنه القرآن. وقد عقد شيخ الإسلام رحمه الله فصولا لهذا الأمر في كتابه الجواب الصحيح ، وكذا ابن القيم رحمه الله في كتابه هداية الحيارى وألف فيه أحمد ديدات رحمه الله كذلك وغيرهم .

[1] البخاري برقم ٧٤١٤

[2] الجواب الصحيح ٧٦/١

[3] الجواب الصحيح ٤٧٤/١

فائدة(٨)

يقول أبو العباس ابن تيمية رحمه الله : لا يقدرُ أحدٌ من أهل الأرض يُقيم دليلاً صحيحاً على نبوة موسى وعيسى وبطلان نبوة محمد ﷺ .فإن هذا ممتنع لذاته بل ولا يمكنه أن يقيم دليلاً صحيحاً على نبوة أحدهما إلا وإقامة مثل ذلك الدليل أو أعظم منه على نبوة محمد ﷺ أولى "

وتقرير هذه المسألة نافع جدا لمن يحاور أهل الكتاب

يقول شيخ الإسلام :

فأهل الكتاب يطالبون في ما يعارضون به ثلاث مقدمات :

أحدها : تقدير أن أولئك (الأنبياء) صادقون ومحمد ﷺ كاذب

والثاني : ثبوت ما أتوا به لفظاً.

والثالث: معرفة المراد باللفظ ترجمة وتفسيرا .[1]

﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ٤ ﴾

فائدة (٩)

ومن هذه الآية يمكن الخلوص لواقع الكتاب المقدس الذي بين أيدي النصارى اليوم ، وما فيه من أوامر وأخبار تنافي وصف الهداية ، وتثبت التحريف والزيف الذي وقع في التوراة و الإنجيل .

" وقال الله تعالى هنا ﴿ مِن قَبۡلُ ﴾ قيداً كي لا يُتوهم أن هدى التوراة والإنجيل مستمر بعد نزول القرآن .وفيه إشارة إلى أنها كالمقدمات لنزول القرآن الذي هو تمام مراد الله تعالى من البشر" [2] .

[1] الجواب الصحيح ٤٩٢/١

[2] التحرير والتنوير ١٤٩/٢

وثناء الله عزوجل في هذه الآية وغيرها من الآيات على التوراة والإنجيل ؛ليس فيه ثناء على دين اليهود والنصارى المبدل المنسوخ ، ولا مدح لأهل الكتاب الذين كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، فهذه صفة التوراة والإنجيل الحق التي أُنزلت على موسى وعيسى عليهما السلام ، وأنهما هدىً للناس ، وليس فيهما ما يَشين أو يكون سبباً في ضلال ، بخلاف الكتاب المحرف الذي بأيدي النصارى في هذا الزمان وما حوى من أمور تناقض الهداية .

إذ نجدهم يُسيئون وصف الخالق جل وعلا ، ويَنسبون له مالا يليق به ، وينسبون لأنبياء الله القبائح والعياذ بالله ، فنوحٌ عليه السلام الذي أفنى عمره دعوة لله تجده عندهم يشرب الخمر ، ويتعرى في خبائه (التكوين ٦:٦-٩:٢٠) ولوط عليه السلام الطاهر المطهَّر ، يصمونه بأنه وقع على بناته والعياذ بالله (التكوين ١٩:٣٠-٣٨) . وغيرهم من أنبياء الله المصطفين ، يحكون عنهم ما يشين ، وهم منزهون مطهرون معصومون .

ومما يناقض وصف الهداية لهذا الكتاب ، ما أوردوه من عبارات وجُمل يتعالى الله عن ذكرها ، فيها من البذاءة والقِحَة ما يُنزَّه عنه كتاب الله ؛ كتاب الهداية ، يُراجع سفر حزقيال(١٦:٧،٨) . وكذلك في سفر نشيد الانشاد من اللغة التي يستحي من ذكرها الرجلُ الأريب فضلاً عن أن تُنسب لله تعالى لتصف العلاقة بين الرب ومريم ، أو المسيح والكنيسة ، أو بين الإله وإسرائيل بتشبيهات وأمثال جنسية مقززة .

وفي سياق حقوق الضعفاء نجد الله تعالى في القرآن العظيم ، يُنزِّل سورة في حقوق المستضعفين؛ وهي سورة النساء . ويؤكد على حقِ المرأةِ وكرامتِها في غير ما موضع ، بينما نجد في الكتاب المقدس عندهم ، يقول بولس : "الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل " ويقول " لست آذن للمرأة أن تعلم "وقال أيضا " حسن للرجل أن لا يمس امرأة "، مع احتوائه على خرافات غير معقولة وتشريعات باطلة ومتناقضات وزنا محارم لشخصيات يوقرونها ويحترمونها ويَعُدُونها من نسل المسيح، وغير ذلك مما يتنافى مع وصف الكتاب بالهداية . ولمزيد (يراجع كتاب عتاد الجهاد -أحمد ديدات) وكتاب (المسيحية لساجد مير).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ ﴾

فائدة(١٠)

في هذه الآية : إشارة لامتناع أن يكون عيسى عليه السلام إلهاً ، أو له من صفات الإله شيء . فقد ذكر الله عز وجل شمول علمه جل وعلا لكل شيء ، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، بينما حال عيسى عليه السلام على خلاف ذلك .فعِلْمُه محدودٌ ببشريته ، وعلمُه ممَّا علمَّه الله تعالى ، وفي كتابهم الذي بين أيدينا ما يشير لقصور علمه عليه السلام بيوم القيامة (أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب)[١].ولعل تقديم الأرض على السماء في الآية ؛ لأنها ألصق بنا ، ومع ذلك يخفى علينا منها الخبر .وحاله عليه السلام في الرحم وتقلبه فيه وقد قَصُرَ عنْ عِلمِ ما حوله ، وعن تدبير الكون الذي هو فيه ؛ دليل على تخلف صفات الألوهية فيه عليه السلام .

وبهذا أقر وفد نجران في حوارهم مع النبي ﷺ : (قال ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؟ قالوا : بلى .قال : فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا إلا ما علم ؟ قالوا : لا) .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٦ ﴾

فائدة (١١)

يقول ابن كثير رحمه الله:

" وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا تَعْرِيضٌ بَلْ تَصْرِيحٌ بِأَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ مَخْلُوقٌ، كَمَا خَلَقَ اللَّهُ سَائِرَ الْبَشَرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَوَّرَهُ فِي الرَّحِمِ وَخَلَقَهُ، كَمَا يَشَاءُ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا كَمَا زَعَمَتْهُ النَّصَارَى- عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ-وَقَدْ تَقَلَّبَ فِي الْأَحْشَاءِ، وَتَنَقَّلَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى

[١] مرقس ١٣/٣٢ - متى ٢٤/٣٦

﴿ .. يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦ ﴾ الزمر: ٦

فائدة(١٢)

فيه ردٌ على من يعتمد على تأليه عيسى عليه السلام بمعجزة إحياء الموتى ، فالحديث هنا عن معنىً أعمق ، هو من مظاهر قدرة الله تعالى وحده، فهو يقلّب الإنسانَ في الرحمِ، ويصوّره كيف يشاء ، ولم يتحصَّل هذا لبشرٍ ولا حتى على وجه الإعجاز.

ومثلُ هذا الارتقاء والتنزُّل في الحجة ، يشبه موقف الخليل عليه السلام في حواره مع الملك الذي ادعى الربوبية ؛ متذرعاً بقدرته على الإحياء والإماتة زوراً ، فانتقل معه إبراهيم عليه السلام لمعنى أعمق يعجز عنه قطعاً ولو على سبيل الدعوى : ﴿... قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨ ﴾ البقرة: ٢٥٨

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾

فائدة (١٣)

من الأمور المهمة في مناظرات أهل الكتاب ، وما يُوردونه على أهل الإسلام من شبهات :
استحضار قاعدة (رد المتشابه إلى المحكم) .
فقد يدّعي بعض النصارى أن القرآن يُثبتُ ألوهية المسيح عليه السلام ، كقوله تعالى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ النساء: ١٧١ وقوله ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴿٣٩﴾﴾ آل عمران: ٣٩. وكما يذكر القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام أنه يُبرئ الأكمه ، والأبرص ويحيي الموتى . ومن قبيل تعلقهم بالمتشابه وتركهم المحكم ، تركهم للآيات الكثيرة الصريحة في أنه عليه الصلاة والسلام مرسلٌ لجميع الإنس والجن بما فيهم أهل الكتاب ، ولم يقل قط إنه لم يرسل إليهم ، وتعلقوا بآيات غلطوا في معرفة معناها .
وشهدتُ مجادلة في الانترنت بين نصارى ومسلمين فأوردوا تقرير القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام روحٌ من الله ، فأجاب بعض المسلمين الموجودين في الموقع بإجابات لم تكن مسددة ، فحرفوا معنى روح إلى معاني أخرى ، فمثل هذا مع ما يُظهر من ضعف حجة المسلم يعزز الشبهات في قلوب من يحضرون .
فالواجب في مثل هذه النقاشات ، أن نرد المتشابه للمحكم ابتداءً ، ومن لوازمه أن تكون الأمور المحكمة واضحة، وحاضرة في تصور المناظر المسلم وأدلتها النقلية والعقلية ، ومن ثم تُردُّ إليها المشتبهات.
بغير هذه الطريقة سيغرق المناظر المسلم في التعامل مع تأويلاتهم الباطلة ، وشبهاتهم المنحرفة .قال الحسن بن أيوب[1] فيما نقله عنه ابن تيمية رحمهم الله :

قال : وإذا نظر في الإنجيل وكتب بولس وغيره ممن يحتج به النصارى، وجد نحوا من عشرين ألف آية مما فيه اسم المسيح، وكلها تنطق بعبودية المسيح، وأنه مبعوث مربوب، وأن الله اختصه بالكرامات، ما خلا آيات يسيرة مشكلات، قد تأولها كل فريق من أولئك الذين وضعوا الشريعة باختيارهم على هواهم، فأخذوا بذلك التأويل الفاسد وتركوا المعظم الذي ينطق بعبوديته، فلو كانوا قصدوا الحق لردوا تلك المشكلات الشاذة اليسيرة التي يوجد لها من التأويل خلاف ما يتأولونه ، على الواضحات الكثيرة التي قد بانت بغير تأويل؛ لأنه إنما يجب أن

[1] يقول الشيخ سفر الحوالي عن الحسن بن أيوب : لم يذكره من المتقدمين إلا ابن النديم صاحب الفهرست ، ويظهر من كلامه ونقول ابن حزم أنه كان نسطورياً . يقول ابن تيمية رحمه الله ، عنه بعد نقله للرسالة : هذا آخر ما كتبته من كلام الحسن بن أيوب وهو ممن كان من أجلاء علماء النصارى وأخبر الناس بأقوالهم

يقاس الجزء على الكل، ويستدل على ما غاب بما حضر، وعلى ما أشكل بما ظهر؛ فمن تلك الآيات المشكلات ما ذكرناه في كتابنا هذا وبينا معناه والحجة فيه، وأنه ليس كما تأولوه .[1]

فائدة (١٤)

في التعبير بقوله تعالى ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ دليلٌ على أنه لا يتصدَّى لجدال أهل الكتاب أو غيرهم ، إلا مَن كان علمُه راسخاً ، لديه من عمق الفَهم ما يُخوّله من إظهار الحجة، وبيان المَحجَّة .

فائدة(١٥)

وفي الآية دليل على أهمية العلم لمن اختار طريق الدعوة إلى الله تعالى ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ يوسف: ١٠٨.

❁❁❁❁❁

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ ﴾

فائدة (١٦)

رسالة مهمة جداً لمن نذر نفسه لمناظرة ومجادلة أهل الكتاب ، أن يلتجئ دوماً لله عزوجل ، ويسأله الثبات على الدين الحق ، وأن يعتبر بحال من في قلوبهم زيغ .

[1] الجواب الصحيح ٢/٧٠

فائدة (١٧)

وفي الآية رسالة أخرى أن يخاطبوا قلوبَ المدعوين ، وأن يذكِّروهم أن الله تعالى يريد منهم إسلام القلب ، وليس لأحد على قلبك سبيل إلا الله تعالى ، فتكون البداية أن يفتح العبد قلبه للبحث عن الحق وقبوله .

فائدة (١٨)

في الآية إشارةٌ مهمة لقضية مجرَّبةٍ ، أنَّ العبدَ كائناً مَنْ كان ؛ إذا سأل اللهَ تعالى صادقاً مخلصاً أنْ يَهديَه للطريق الحق ؛ فإنَّ الله سيهديه.

يقول الشيخ يوسف استس في إجابته لأحد السائلين متحدثاً عن نفسه : بعد أن ثبت لديه تناقض دين النصارى ، وأنه وصل ليقين ليس هذا دين الحق - أي دين النصارى - ولم يكن بَعدُ مقتنعاً بالإسلام ، فالتجأ إلى الله تعالى وسأله الهداية فوجد رغبة كبيرة في السجود لله تعالى ، فسجد ودعا قائلا إلهي إن كنت موجوداً فاهدني . وبفضل الله تعالى شرح الله صدره للإسلام .يقول : وها أنا ذا لي تسع عشرة سنة أدعو ربي كل يوم سبع عشرة مرة ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ الفاتحة: ٦ في صلاتي لله و ما زلتُ على الإسلام ولله الحمد .[١]

ومثل هذا ما حدَّث به الطبيب الدكتور لورانس براون (Laurence Brown)[٢] في قصة إسلامه في أحد البرامج .

وحدثني غير واحد من الفلبينيين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي، وكانوا صادقين في بحثهم عن الحقيقة ، لمَّا دعوا الله تعالى ، وفقهم وهداهم للإسلام .

[١] من محاضرة مرئية على الانترنت .

[٢] طبيب أمريكي من عائلة بروستانتية لكنه كان ملحداً خرّيج جامعة كورنيل، كليّة براون الطبيّة، وبرنامج Hospital residency بجامعة جورج واشنطن، جرَّاح عيون، تَخصص في ماء العين، وجراحة refractive، تَقاعد كضابطٍ في القوات الجويَّة، "الدُّكتور براون" أيضًا مُؤلّف كتابين في الدين المقارن، بعنوان: "الوصيَّة الأولى والنّهائية"، و"غودد God'ed"، بالإضافة إلى كتاب الرّواية الأشهر: "اللَّفيفة الثامنة"، التي حازَتْ على جائزة أفضل روايةٍ في الولايات المتَّحدة للعام ٢٠٠٧.تعرضت ابنته للهلاك فلجأ إلى الله أن يشفيها فاستجاب الله له وسأل الله أن يهديه للدين الحق وبعد مرحلة من البحث والنقاشات مع أربابا الديانات فلم يجد دينا يجيب على كل تساؤلاته غير الإسلام .

﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١١ ﴾

فائدة (١٩)

فيها وَضْعُ المخالفِ في موقعِه الصحيح ، فاليهود وإنْ كانوا في الأصل أتباع موسى عليه السلام لكنهم في عدائهم للنبي ﷺ ، يعملون عمل آل فرعون وينتهجون نهجهم ، ويقترفون تكذيبهم فكانوا في عدادهم .فتصحيح مسار المحاور ، يحمله على مراجعة نفسه وتأمل واقعه .

❁❁❁❁❁

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٢ ﴾

فائدة (٢٠)

من الوسائل المؤثرة في دعوة أهل الكتاب ، هي إخبار القرآن والسنة بالغيوب المستقبلية. وتزداد هذه الوسيلة أهمية مع شَغَفِ الغرب بالنبوءات ، وتشوفهم لما يحصل في المستقبل . وفي القرآن والسنة جُملة من هذه الأخبار.

وفي الآية التي بين أيدينا أخبر الله تعالى عن هزيمة أهل الكفر في الدنيا :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : فكان كما أخبرهم غُلبوا في الدنيا كما شاهده النَّاسُ . وهذا يصدِّق الخبرَ الأخير وهو أنهم يحشرون إلى جهنم وبئس المهاد "[1]

"وفي القرآن والأحاديث عنه من الإخبار بما سيكون في الدنيا وفي الآخرة ، أضعاف أضعاف ما يوجد عن الأنبياء قبله ، حتى إنه يُنبئ عن الشيء الذي يكون بعد ما يبين من السنين ، خبراً أكمل من خبر مَنْ عاين ذلك ، كقوله في الحديث الصحيح : " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين ذلف الأنوف حمر الخدود ينتعلون الشعر كأن وجوههم المجان المطرقة " . فمن رأى هؤلاء الترك الذين قاتلهم المسلمون ، من حين خرج جنكزخان ملكهم الأكبر ، وأولاده

[1] الجواب الصحيح ٢٣٧/١

وأولاد أولاده مثل هولاكو وغيره من ملوك الترك الكفار الذين قاتلهم المسلمون لم يحسن أن يصفهم بأحسن من هذه الصفة وقد أخبر بهذا قبل ظهوره بأكثر من ستمائة سنة"[1]

فمن المناسب أن يُخص هذا الباب بمزيد عناية وتأليف ، بلغة المخَاطَب ، وإظهار ما تحقق من النبوءات المحمدية ، وما لم يتحقق بعد ، ففيه عظيم الأثر.

وكنت قد بدأت مع بعض الإخوة عملاً يجمع النبوءات باللغة الانجليزية ، ولكنا لم نتمه وقد استشرت الشيخ محمد صالح المنجد وفقه الله عن الفكرة من خلال عرض سؤال في أحد دروسه ، فأيد الفكرة وشجع عليها فعسى الله أن ييسر من يقوم بهذه الفكرة ويبارك فيها .

فائدة (٢١)

وفي هذا السياق ذكر الله تعالى في هذه السورة ما وعد به من قتال اليهود وهزيمتهم فقال جل وعلا :

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ . يقول ابن جرير رحمه الله : وهذا وعد من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ وأهل الإيمان نصرهم على الكفرة به من أهل الكتاب .[2]

يقول ابن كثير رحمه الله : وهكذا وقع فإنهم يوم خيبر أذلهم الله وأرغم أنوفهم ، وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بني قينقاع ، وبني النضير وبني قريظة ، كلهم أذلهم الله وكذلك النصارى بالشام كسرهم الصحابة في غير ما موطن ، وسلبوهم ملك الشام أبد الآبدين ودهر الداهرين ، ولا تزال عصابة بالإسلام قائمة بالشام حتى ينزل عيسى بن مريم وهم كذلك ، ويحكم بملة الإسلام وشرع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام .[3]

يقول ابن تيمية رحمه الله :

فَإِنَّ الْيَهُودَ لَمْ يُعْرَفْ أَنَّهَا غَلَبَتْ الْعَرَبَ بَلْ كَانُوا مَغْلُوبِينَ مَعَهُمْ وَكَانُوا يُحَالِفُونَ الْعَرَبَ فَيُحَالِفُ كُلُّ فَرِيقٍ فَرِيقًا كَمَا كَانَتْ قُرَيْظَةُ حُلَفَاءَ الْأَوْسِ وَكَانَتْ النَّضِيرُ حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ. وَأَمَّا كَوْنُ الْيَهُودِ كَانُوا يَنْتَصِرُونَ عَلَى الْعَرَبِ فَهَذَا لَا يُعْرَفُ بَلْ الْمَعْرُوفُ خِلَافُهُ وَاَللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَخْبَرَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ

[1] الجواب الصحيح ٦١٣/١
[2] تفسير الطبري ٦٢/٣ (الجزء الرابع)
[3] تفسير ابن كثير ٧٥٧/٢

وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢ ﴾ آل عمران: . فَالْيَهُودُ - مِنْ حِينِ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إلَّا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ - لَمْ يَكُونُوا بِمُجَرَّدِهِمْ يَنْتَصِرُونَ لَا عَلَى الْعَرَبِ وَلَا غَيْرِهِمْ وَإِنَّمَا كَانُوا يُقَاتِلُونَ مَعَ حُلَفَائِهِمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَالذِّلَّةُ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ حِينِ بُعِثَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَذَّبُوهُ.[1]

فائدة(٢٢)

وفي معنى هذا الموضوع ما ذكره الله تعالى من كتابته الذلة على اليهود إلا بعهد من الله ، أو عهد وأمان من الناس ، فقد قال تعالى ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢ ﴾ . يقول الشيخ السعدي رحمه الله :هذا إخبار من الله تعالى أن اليهود ضربت عليهم الذلة فهم خائفون أينما ثقفوا ، ولا يؤمنهم شيء إلا معاهدة وسبب يأمنون به ، يرضخون لأحكام الإسلام ويعترفون بالجزية أو بـ﴿ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي إذا كانوا تحت ولاية غيرهم ونظارتهم كما شوهد حالهم سابقا ولاحقا ، فإنهم لم يتمكنوا في الوقت الأخير من الملك المؤقت في فلسطين إلا بنصر الدول الكبرى وتمهيدها لهم كل سبب [2]

﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ١٣ ﴾

[1] مجموع الفتاوى ٣٠١/١

[2] تيسر الكريم الرحمن ٢٣١/١

فائدة (٢٣)

في هذه الآية دليل واضح على صدق نبينا محمد ﷺ ؛إذ كان مؤيداً من ربه جل وعلا منصوراً وظاهراً على من خالفه . وهو ﷺ مع قلة عدد جيشه ، انتصر يوم بدر على رؤوس الكفر والشرك من قريش انتصاراً عظيماً .يقول أبو العباس ابن تيمية رحمه الله :

فلا يُعرف أحد قط ادعى النبوة وهو كاذب إلا قطع الله دابره وأذله وأظهر كذبه وفجوره وكل من أيده الله من المدعين للنبوة لم يكن إلا صادقا ، كما أيَّد نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ، بل أيد شعيبا وهوداً وصالحاً ،فإن سنة الله أن ينصرَ رسلَه والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . وهذا هو الواقع ".

وقال قبل ذلك " وأيده تأييداً لا يؤيد به إلا الأنبياء ، بل لم يُؤيَّد أحداً من الأنبياء كما أُيِّد به [١]".

﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۖ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾

فائدة (٢٤)

قابلت من النصارى من يمتنع عن قبول الإسلام لما فيه من بعض القيود والأمور المنوعة - على حد قوله - فهذه الآية مدخل جميل لمثل هؤلاءإذا استطعنا أن ننقل لهم هذه المفاهيم الراقية في الآية ومنها :

أولاً: المتاع الذي قد يُحرَم منه أو المتاع الذي يصرفه عن الإيمان إنما هو متاع قليل زائل والنعيم الحقيقي هو فيما أعده الله تعالى لمن اتقاه ولمن أحبه وأطاع أمره.

من جهة أخرى أن في الجنة ما يعوضه عن كل ما في الدنيا من النعيم فالمتعلق بالخمر يُخبَر بوجودها في الجنة بصفة مغايرة لما هي عليه في الدنيا من فساد طبعها وقبح أثرها .وكذا في سائر الأمور التي تجعله يخلد إلى الأرض ويتبع هواه .

[١] الجواب الصحيح ٢٣٧/١

كذلك موقف أبي حارثة بن علقمة من رؤوس وفد نجران الذين قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيف صده عن الإيمان ما فعل به ملوك الروم فقد شرَّفوه وأكرموه وموَّلوه فخشي أن يُنزع منه ذلك كله .

فائدة (٢٥)

يقال لهؤلاء إن هذه الشهوات فُطر عليها جميع الناس ، وليس أناسٌ دون أناس . ومع ذلك لم تمنع كثيراً من الإيمان بالله وبرسوله عليه الصلاة والسلام ، واختيار ما عند الله عزوجل من النعيم المقيم ، بل يجدون من السعادة والهَناء في الدنيا ، ما يفوق ما يجده المسرفون في ملذاتهم .

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

فائدة (٢٦)

من الجوانب الدعوية في الآية:

أن الله عزوجل في هذه الآية شهد لنفسه بالتفرد بالألوهية ، فنسأل ، هل شهد عيسى عليه السلام لنفسه بذلك حتى يُزعم أنه هو الله ؟

في إنجيل يوحنا يصرح عيسى عليه السلام ، بأنه لا يستحق العبادة إلا الله ،وبأنه مرسلٌ من عند الله. (والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك والذي أرسلته : يسوع المسيح)[١] .

وفيه أيضا (الحق الحق أقول لكم : من يقبل الذي أُرسله يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني)[٢] .

وفي مرقس : " فقال له الكاتب : " صحيح يا معلم حسب الحق تكلمت فإن الله واحد وليس له آخر سواه "[٣]

[١] يوحنا ٣/١٧
[٢] يوحنا ٢٠/١٣
[٣] مرقس ٣٢/١٢

وفي العهد القديم آيات كثيرة ، تُصرّح بوحدانية الله تعالى ، والدعوة لعبادته وحده ، من ذلك ما جاء في أشعياء : " ألست أنا الرب ولا إله غيري ؟ بار مخلص وليس هناك آخر"[1] . وغيرها من النصوص الصريحة في تقرير هذا المعنى ونفي ألوهية المسيح عليه السلام .

فائدة (٢٧)

جانبٌ دعوي آخر في هذه الآية ،وهو أن شهادة العلماء تدل على أن المسألة ليست دعوى فقط ، بل هي دلائل وبراهين إذ شهادتهم بناءً على قدرتهم على إثبات ذلك ، واليقين به .فالعلماء يقيمون الحجج على أهل الإلحاد ، وبهذا ينبغي أن يسير مناظر أهل الكتاب في إثبات وتقرير القضايا .لذا كان من أعظم الشهود على وحدانية الله تعالى هم الأنبياء .

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ الأنبياء:٥٦ . كذلك شهادة العلماء وهم أهل الاختصاص تؤثرُّ في نفوس العامة . يقول الدكتور محمد دراز رحمه الله : إن اتفاق وإجماع ذوي العلم والاختصاص على صدق فكرة معينة ، علامة في نظر سائر الناس ، على صحة هذه الفكرة . رغم أن هذا الإجماع عامل خارجي ، غريب عن ذات الفكرة . ومن هذه الناحية نستطيع إذن أن نقول : إنه بقدر ما تتمتع به أية دعوة من تأييد أهل العلم لها وزيادة الثقة بها يتضاعف تأثيرها على الناس .[2]

فائدة (٢٨)

وفي هذا السياق يمكن تقرير مسألة ؛ أن علماء الطبيعة والفيزياء يقودهم علمهم لوحدانية الله تعالى ، كما هو ظاهر من كلام عدد منهم ، كإسحاق نيوتن وآينشتاين وغيرهم . ويمكن مراجعة كتاب (خرافة الإلحاد) للدكتور عمرو شريف ففيه مباحث عدة ونماذج في بيان هداية العلم للإيمان بالله . وفي كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) ما يزيد على ثلاثين مقالا لعلماء طبيعة كلهم يقول (هناك إله متفرد بخلق الكون) وحديثهم كلهم من منطلق علمي تجريبي .

[1] أشعياء ٤٥/٢١
[2] مدخل إلى القرآن الكريم ص ٦٩

فائدة (٢٩)

ويحسن الإشارة في سياق شهادة الله عز وجل وأولي العلم على وحدانيته وأن الدين عند الله الإسلام ، أن من وسائل الدعوة المؤثرة ما اصطلح عليه بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، يقول الله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ فصلت: ٥٣ .

وقد عنيت بعض الهيئات والجمعيات بهذا الجانب كثيراً . وقد برز بعض العلماء في توضيح نواحي الإعجاز العلمي والذي قرره القرآن قبل اكتشاف العلماء له بقرون .مع مراعاة الضوابط في تطبيقات الإعجاز العلمي والرجوع لأهل الاختصاص في التفسير وفي علوم الطبيعة والنأي عن المجازفات والمبالغات في تقريرات هذه الوسيلة .

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾

فائدة (٣٠)

هذه الآية حاسمة في جدال أهل الكتاب ، وهي تأتي في ثنايا جملة من الحجج والبراهين وهي أنَّ الله تعالى اختار الإسلام وارتضاه عملاً وديناً . وبمثل هذا الإيمان والثقة والوضوح ينبغي أن يُعرَض الإسلام ، ويُقرر الحق ، فله تأثيره على المتلقي كثيراً .

يقول ابن تيمية رحمه الله :

" وكان دينه الذي ارتضاه الله لنفسه هو دين الإسلام ، الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل ولا يقبل من أحد ديناً غيره ، لا من الأولين ولا من الآخرين وهو دين الأنبياء وأتباعهم ، كما أخبر الله تعالى بذلك عن نوح عليه السلام ومن بعده إلى الحواريين . " .

ثم ذكر الشيخ شواهد ذلك في نوح عليه السلام (يونس -٧١-٧٢) ،وإبراهيم عليه السلام (البقرة ١٣٠-١٣٢) ويوسف عليه السلام (يوسف ١٠١) ، وموسى عليه السلام (يونس ٨٤)

والسحرة في قولهم لفرعون (الأعراف ١٢٦) وبلقيس ملكة اليمن (النمل ٤٤) وأنبياء بني إسرائيل (المائدة ٤٤) والمسيح عليه السلام (آل عمران ٥٢) والحواريين (المائدة ١١١) - إلى أن قال - فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم هو دين الإسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له وعبادته تعالى في كل زمان ومكان بطاعة رسله عليهم السلام "[١]

ويذكر يوسف استيس وفقه الله في سياق جوابه على بعض الأسئلة عن الإسلام – بنحوه - :

" ومن الصفات التي ينبغي أن تكون في الدين الذي يحبه الله ويرضاه ، ويتفق عليها من يمارس التدين ، أن يكون الدين استسلاماً لله وخضوعا وطاعة وإخلاصاً له جل وعلا دون شريك ؛ تكتنفه طمأنينة ويعمره سلام .هذه المعاني حواها اسم واحد هو ((الإسلام)) .

وهذه المعاني التزمها الانبياء من قبل وأتباعهم فكانوا مسلمين لله حقا، مخلصين له الدين صدقاً وأما ما يوجد بين أيدينا من كتب محرفة فمظاهر الإشراك بالله والإعراض عن دينه واستبدال شريعة الله وتعاليم المسيح عليه السلام - بتعاليم بولس وغيره ممن بدلوا لهم دينهم - وتركهم لطاعة الله ورسله .فليس هذا مما يرضاه الله ويقبله دينا "[٢]

يقول الطاهر بن عاشور رحمه الله : واعلم أن قوله ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴿٢٠﴾﴾ آل عمران: ٢٠

كلمة جامعة لمعاني كنه الإسلام وأصوله ألقيت إلى الناس ليتدبروا مطاويها فيهتدي الضالون ويزداد المسلمون يقينا بدينهم " وقال " بينت هذه الكلمة أن هذا الدين يترجم عن حقيقة اسمه فإن اسمه الإسلام وهو مفيد معروفا في لغتهم يرجع إلى الإلقاء والتسليم .

وَإِسْلَامُ النَّفْسِ لِلَّهِ مَعْنَاهُ إِسْلَامُهَا لِأَجْلِهِ وَصَيْرُورَتُهَا مِلْكًا لَهُ، بِحَيْثُ يَكُونُ جَمِيعُ أَعْمَالِ النَّفْسِ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَتَحْتَ هَذَا مَعَانٍ جَمَّةٌ هِيَ جِمَاعُ الْإِسْلَامِ: نَحْصُرُهَا فِي عَشَرَةٍ:

<u>الْمَعْنَى الْأَوَّلُ:</u> تَمَامُ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ بِأَلَّا يُعْبَدَ غَيْرُ اللَّهِ، وَهَذَا إِبْطَالٌ لِلشِّرْكِ لِأَنَّ الْمُشْرِكَ بِاللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ لَمْ يُسْلِمْ نَفسه لله بَلْ أَسْلَمَ بَعْضَهَا.

<u>الْمَعْنَى الثَّانِي:</u> إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى فَلَا يَلْحَظُ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يُرَائِي وَلَا يُصَانِعُ فِيمَا لَا يُرْضِي اللَّهَ وَلَا يُقَدِّمُ مَرْضَاةَ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ.

<u>الثَّالِثُ:</u> إِخْلَاصُ الْقَوْلِ لِلَّهِ تَعَالَى فَلَا يَقُولُ مَا لَا يَرْضَى بِهِ اللَّهُ، وَلَا يَصْدُرُ عَنْهُ قَوْلٌ إِلَّا فِيمَا أَذِنَ اللَّهُ فِيهِ أَنْ يُقَالَ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى تَجِيءُ الصَّرَاحَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، عَلَى حَسَبِ الْمَقْدِرَةِ وَالْعِلْمِ، وَالتَّصَدِّي لِلْحُجَّةِ لِتَأْيِيدِ مُرَادِ اللَّه تَعَالَى، وَهِيَ صِفَةٌ امْتَازَ بِهَا الْإِسْلَامُ،

<u>الرَّابِعُ:</u> أَنْ يَكُونَ سَاعِيًا لِتَعَرُّفِ مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ النَّاسِ، لِيُجْرِيَ أَعْمَالَهُ عَلَى وَفْقِهِ، وَذَلِكَ بِالْإِصْغَاءِ إِلَى دَعْوَةِ الرُّسُلِ الْمُخْبِرِينَ بِأَنَّهُمْ مُرْسَلُونَ مِنَ اللَّهِ، وَتَلَقِّيهَا بِالتَّأَمُّلِ فِي وُجُودِ صِدْقِهَا، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدَّعَاوَى الْبَاطِلَةِ، بِدُونِ تَحَفُّزٍ لِلتَّكْذِيبِ، وَلَا

[١] الجواب الصحيح ٨٢/١-٨٤

[٢] محاضرة مرئية على الانترنت

مُكَابَرَةٍ فِي تَلَقِّي الدَّعْوَةِ، وَلَا إِعْرَاضٍ عَنْهَا بِدَاعِي الْهَوَى وَهُوَ الْإِفْحَامُ، بِحَيْثُ يَكُونُ عِلْمُهُ بِمُرَادِ اللَّهِ مِنَ الْخَلْقِ هُوَ ضَالَّتُهُ الْمَنْشُودَةُ.

الْخَامِسُ: امْتِثَالُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهى عَنْهُ، عَلَى لِسَانِ الرُّسُلِ الصَّادِقِينَ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى اتِّبَاعِ ذَلِكَ بِدُونِ تَغْيِيرٍ وَلَا تَحْرِيفٍ، وَأَنْ يَذُودَ عَنْهُ مَنْ يُرِيدُ تَغْيِيرَهُ.

السَّادِسُ: أَلَّا يَجْعَلَ لِنَفْسِهِ حُكْمًا مَعَ اللَّهِ فِيمَا حَكَمَ بِهِ، فَلَا يَتَصَدَّى لِلتَّحَكُّمِ فِي قَبُولِ بَعْضِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَنَبْذِ الْبَعْضِ. كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ٤٩﴾ النور: ٤٨ - ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ الأحزاب: ٣٦، فَقَدْ أَعْرَضَ الْكُفَّارُ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُشَاهِدُوا مَيِّتًا بُعِثَ.

السَّابِعُ: أَنْ يَكُونَ مُتَطَلِّبًا لِمُرَادِ اللَّهِ مِمَّا أَشْكَلَ عَلَيْهِ فِيهِ، وَاحْتَاجَ إِلَى جَرْيِهِ فِيهِ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ: بِتَطَلُّبِهِ مِنْ إِلْحَاقِهِ بِنَظَائِرِهِ التَّامَّةِ التَّنْظِيرِ بِمَا عُلِمَ أَنَّهُ مُرَادُ اللَّهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ٨٣﴾ النساء: ٨٣

الثَّامِنُ: الْإِعْرَاضُ عَنِ الْهَوَى الْمَذْمُومِ فِي الدِّينِ، وَعَنِ الْقَوْلِ فِيهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠﴾ القصص: ٥٠

التَّاسِعُ: أَنْ تَكُونَ مُعَامَلَةُ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ بَعْضِهَا بَعْضًا، وَجَمَاعَاتِهَا، وَمُعَامَلَتُهَا الْأُمَمَ كَذَلِكَ، جَارِيَةً عَلَى مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تِلْكَ الْمُعَامَلَاتِ.

الْعَاشِرُ: التَّصْدِيقُ بِمَا غُيِّبَ عَنَّا، مِمَّا أَنْبَأَنَا اللَّهُ بِهِ: مِنْ صِفَاتِهِ، وَمِنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ الْمُطْلَقُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾ آل عمران: ٢٠ إِبْطَالٌ لِكَوْنِهِمْ حَاصِلِينَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، فَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَبُعْدُهُمْ عَنْهُ أَشَدُّ الْبُعْدِ ظَاهِرٌ،

وَأَمَّا النَّصَارَى فَقَدْ أَلَّهُوا عِيسَى، وَجَعَلُوا مَرْيَمَ صَاحِبَةً لِلَّهِ تَعَالَى فَهَذَا أَصْلٌ لِبُطْلَانِ أَنْ يَكُونُوا أَسْلَمُوا وُجُوهَهُمْ

لِلَّهِ لِأَنَّهُمْ عَبَدُوا مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، وَصَانَعُوا الْأُمَمَ الْحَاكِمَةَ وَالْمُلُوكَ، فَأَسَّسُوا الدِّينَ عَلَى حَسَبِ مَا يَلِذُّ لَهُمْ وَيُكْسِبُهُمُ الْحُظْوَةَ عِنْدَهُمْ.

وَأَمَّا الْيَهُودُ فَإِنَّهُمْ- وَإِنْ لَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ- قَدْ نَقَضُوا أُصُولَ التَّقْوَى، فَسَفَّهُوا الْأَنْبِيَاءَ وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ، وَاسْتَهْزَءُوا بِدَعْوَةِ الْخَيْرِ إِلَى اللَّهِ، وَغَيَّرُوا الْأَحْكَامَ اتِّبَاعًا لِلْهَوَى، وَكَذَّبُوا الرُّسُلَ، وَقَتَلُوا

الْأَحْبَارَ، فَأَنَّى يَكُونُ هَؤُلَاءِ قَدْ أَسْلَمُوا لِلَّهِ، وَأَكْبَرُ مُبْطِلٍ لِذَلِكَ هُوَ تكذيبهم مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ النَّظَرِ فِي دَلَائِلِ صِدْقِهِ.[1]

فهذا الدين الذي يحقق مرضاة الله تعالى ومهما تعبد المتعبدون بغيره فقد أخطأوا الطريق وحادوا عن المسار، فوجب رجوعهم لدين الله الحق المبين ألا وهو الإسلام .

فائدة (٣١)

يَرِدُ في النقاشات مع بعض النصارى والذين منهم - في الغالب - لا يحبون الدخول في صدام مع الآخرين ، أو يرغبون في المحافظة على العلاقات الطيبة التي تربطهم بزملاء عملهم أو محيط مجتمعهم . فتجدهم يذكرون احتراماً للإسلام ، بل أحياناً تصريحاً بإيمانهم ببعض معتقدات المسلمين ، إما مجاملة، أو تحاشياً لأي مشاحنة دون قناعة تامة بالإسلام. فلمثل هؤلاء يقال إن الله تعالى بعد مبعث محمد ﷺ لا يقبل ديناً من الناس غير الإسلام ، فطريق الجنة يجب أن يكون من طريق الإسلام . وهو آخر الأديان فإن كنت صادقاً في تقبلك للإسلام دين من عند الله ، وبمحمد ﷺ رسول من عند الله تعالى فلا سبيل إلا بأن تمارسه عملياً وتعتقد قبل ذلك ما يعتقده المسلمون.

فائدة (٣٢)

من الأمور المهمة في نقاش النصارى أن تشير لاختلافهم مع اليهود والديانات الأخرى ،ودعوى كل واحد منهم بأنه على الدين الصحيح . فهم أيضاً مطالبين بإثبات صحة دينهم. وكذلك اختلافهم في معتقداتهم مع بعضهم البعض وفي أصول دينهم. فهذا الاختلاف الذي نجم عن البغي والتحاسد فيما بينهم مع انتسابهم جميعا للنصرانية ودعواهم الإيمان بالمسيح عليه السلام ، لهو دليل على أن بغيهم وحسدهم سيدفعهم للتكذيب بمحمد ﷺ دون نظر للحجج والبراهين .

قال الربعي [2]: النصارى أشد الناس اختلافا في مذاهبهم ، وأقلهم تحصيلا لها ، لا يمكن أن يُعرف لهم مذهب ، ولو سألت قِسّاً من أقسائهم عن مذهبهم في المسيح ، وسألت أباه وأمه لاختلفوا عليك الثلاثة ، ولقال كل واحد منهم قولا لا يشبه قول الآخر.[3]

ومن الأقوال المشهورة عن النصارى أنه لو اجتمع عشرة نصارى افترقوا على أحد عشر قولا .

---

[1] التحرر والتنوير ٢/٢٠٠-٢٠٥

[2] هو علي بن محمد الربعي المالكي المتوفى (٤٤٤هـ) انظر معجم المؤرخين الدمشقيين ، ص٢٤ ، المنجد (منقول من حاشية الدكتور سفر الحوالي على الجواب الصحيح ص٣٦٢)

[3] الجواب الصحيح ٣٦٢/١

فائدة (٣٣)

إن أول خطوات التوفيق للوصول إلى الحق من طالبه ، أن يدفع عن نفسه غوائل الحقد والحسد وأن ينظر بعين الإنصاف ، باحثاً عن الحجة والدليل ، متلمساً السبيل القويم ، سائلاً البرهان المبين ، فإن أهل الكتاب ضلّوا على علم ، بسبب بغيهم على أنفسهم .

فائدة (٣٤)

أهل الكتاب اختلفوا على ما جاءهم من الهدى والحق ، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، ومن صور اختلافهم على ما جاءهم من الهدى والحق ما ذكره أبو العباس ابن تيمية رحمه الله :

"أما التوحيد فاليهود شبهوا الخالق بالمخلوق ، فوصفوا الرب سبحانه بصفات النقص التي يختص بها المخلوق ، فقالوا :إن الله فقير وبخيل وإنه يتعب وغير ذلك .والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق ، صفات الكمال التي يختص بها الخالق فقالوا عن المسيح إنه خالق السموات والأرض ، القديم الأزلي علام الغيوب القادر على كل شيء "

" وأما الأنبياء فإن اليهود قتلوا بعضاً ، وكذبوا بعضا ، كما قال تعالى : ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ البقرة: ٨٧
والنصارى أشركوا بهم وبمن هو دونهم ، فعبدوا المسيح بل اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وجعلوا الحواريين رسلا لله، زعموا أن الإنسان يصير بطاعته بمنزلة الأنبياء وصوروا تماثيل الأنبياء والصالحين وصاروا يدعونهم ، ويستشفعون بهم بعد موتهم وإذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه التماثيل "

" وأما التشريع فإن اليهود زعموا ، أن ما أمر الله به يمتنع منه أن ينسخه ، والنصارى زعموا أن ما أمر الله به يسوغ لأكابرهم أن ينسخوه ".

" وأما الحلال والحرام والطهارة والنجاسة ، فإن اليهود حرمت عليهم الطيبات ، وشددت عليهم من أمر النجاسات ، حتى منعوا من مؤاكلة الحائض والجلوس معها في بيت ، ومن إزالة النجاسة وحرم عليهم شحم الثرب (شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء) والكليتين ، وكل ذي ظفر وغير

ذلك ..والمسيح عليه السلام أحل لهم بعض الذي حرم عليهم فقابلهم النصارى فقالوا : ليس شيء محرم لا الخنزير ولا غيره ، بل ولا شيء نجس لا البول ولا غيره ، وزعموا أن بعض أكابرهم رأى ملاءة صور له فيها صور جميع الحيوان ، وقيل له : كل ما طابت نفسك ، ودع ما تكره ، وأنه أبيح لهم جميع الحيوان ، ونسخوا شرع التوراة ، بمجرد ذلك فالحلال عندهم ما اشتهته أنفسهم ، والحرام عندهم ما كرهته أنفسهم "

"والمسيح جعلته اليهود ولد زنا ، كذابا ساحرا ، وجعلته النصارى هو الله ، خالق السماوات والأرض"

" وأما التصديق والتكذيب : فإن اليهود من شأنهم التكذيب بالحق والنصارى من شأنهم التصديق بالباطل "[1]

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

فائدة (٣٥)

فيه أن الداعية عند مناقشة أهل الكتاب ، يبدأ بالتعريف بدينه الإسلامي أولاً وبيان معتقده ومحاسنه ، وإظهار الواقع الذي يعيشه المسلم.

[1] الجواب الصحيح ١/٤١٩-٤٢٢

فائدة (٣٦)

فيه أن الداعية يبدأ بالحديث عن التوحيد ، وإخلاص العبادة لله وحده لأنه الأصل الذي يبنى عليه الشرائع ، وقواعد الدين ، فإذا صلح هذا الأصل حصل الاستسلام لله فتقبلت النفوس ووعت حكمة الله تعالى في شريعته .

فائدة (٣٧)

فيه أن من وسائل الدعوة المؤثرة ، إظهارَ أن للإسلام أتباعاً ، سبقوا هؤلاء في قبول الحق . فكثرة الأتباع تستوقف النفوس للتأمل . ومن الأشياء التي تؤثر في غير المسلمين كثيراً ، ما يرونه من عدد المسلمين الذين يؤدون الحج ، ويمارسون شعائره أو يجتمعون في الحرم في رمضان ، فكل هذا الجمع جاءوا مسلمين لله وحده لا شريك له ، مع رؤية مشاعرهم وأنسهم بربهم ، وتضرعهم لخالقهم ، فإن هذا له أثره العظيم في نفوس غير المسلمين . فيستعان بصور الحجاج والمعتمرين أو مقاطع من الحج لتوضيح هذا المفهوم . ويُنقل عن أحد الفلاسفة الفرنسيين قوله : " كلما رأيت صفوف المسلمين في الصلاة أتأسف أني لست مسلماً ".

فائدة (٣٨)

بعد أن تُبين معتقدك وما أنت عليه وجميع أتباعك ، تنتقل لمرحلة دعوة غير المسلمين للدخول في الإسلام ، وأن إسلامهم طريق هدايتهم ، فتكون أنفسُهم قد تهيأت لتقبل دعوتهم اعتناق الدين الإسلامي .

موقف:

شهدت محاضرة لأحد الدعاة مع الجالية الفلبينية ، فبدأ محاضرته في الحديث عن تناقض دين النصارى ، فاستوقفه أحد الحضور ، فقال : نحن جئنا هنا لنتعرف على دينك . فحدثنا عن دينك . أما ديننا فنحن نعرفه. فحدثنا عن معتقدك لا عن معتقدنا . وهذا الأمر فيه جانب من الصحة يجب أن يراعيها الدعاة ، بأن يتدرجوا في الحوار معهم ، حتى إذا تشوفت نفوسهم لمعرفة بيان خطأ معتقدهم يظهره له ، أو إن كان حديثه مع معاند مكابر فيكون عرض هذه التناقضات مراغمة وكفّاً له أن يتمادى .

فائدة (٣٩)

فيه عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للعرب وغيرهم ، سواء أهل الكتاب أو غيرهم فهذه الآية وأمثالها كثر ؛ ردٌ على شبهتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو رسول العرب فقط ، بل ثبت بالنص وبالمواقف العملية من سيرته عليه الصلاة والسلام دعوته لغير قومه .وهم يتكئون على بعض المتشابه كقوله تعالى في هذه السورة ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ آل عمران: فبعْثُه فيهم ؛ فيه كمال المنة من الله ، ومزية لأولئك العرب ، وليس قصراً عليهم ، فقد تظافرت الآيات والأحاديث في عموم بعثته عليه الصلاة والسلام للإنس والجن ، وللعرب وغيرهم بل هو عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ الأنبياء: ١٠٧ .

فائدة (٤٠)

فيه أن الإسلام يقتضي أن يذعن المرء لتعاليمه ، ولا يكفي احترامه كما يزعمه بعض من نناقش من أهل الكتاب ، بل هو كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ آل عمران: ١٩ وكما في قوله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ آل عمران: ٨٥ .

فائدة (٤١)

لا بد أن يستقرَّ في نفوس الدعاة حقيقة هداية التوفيق فما عليهم إلا البلاغ ، والله هو أعلم من يستحق الهداية ومن هو في ضلال مبين ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .

فائدة (٤٢)

فيه توعد النصارى إن تولوا بعد بيان الحجة ، ووضوح الآيات . وتذكيرهم بصفات الله عز وجل المقتضية لاطلاعه عليهم ، ومعرفته بأحوالهم .

فائدة (٤٣)

في الآية تفريق بين المحاجة والمجادلة وبين الدعوة ، فيشرع ترك الجدال عندما يظهر من المناظر العناد والمكابرة ، ولكن تبقى دعوتهم مشروعة فيسعى الداعي لهدايتهم بطرق أخرى من وسائل الدعوة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾

فائدة(٤٤)

إن هذه الآية الكريمة تقودنا للحديث عن التاريخ الدموي للكنسية ، ولرؤساء وكبراء الديانة المسيحية المحرَّفة ، التي قامت على قتل المُقسطين ، ومارست أبشع أنواع الدموية مع الأطفال والنساء والشيوخ . لم تتورع الكنيسة وباباواتها في قتل المسلمين الناصحين لها ، و علماء الفلك والطبيعة الذين يبحثون عن خدمة البشرية بأبحاثهم ، بل حتى مخالفيهم من نفس الديانة أعملوا فيهم حرقاً وقتلاً وتقطيعاً . لقد قتلوا الأنبياء والرسل من قبل وهاهم يسيرون على خطى أجدادهم في قتل الآمرين بالإصلاح فلينتظروا عذاباً أليماً .

وننقل هنا بعض ما سجله المؤرخون من بني جلدتهم ، في دموية الكنيسة وقياداتها .

وقد استعرض الأستاذ / ساجد مير بعض هذه النصوص بصورة موسعة ننقل منها :

يقول ويكرشام في كتابه " تاريخ الكنسية" : " فعندما سيطروا على أورشليم في ١٠٩٩ م قتل المسيحيون الأطفال والنساء وسفكوا الكثير من الدماء حتى صار المشي صعبا في حارات المدينة وشوارعها .

ويقول باحث آخر وهو ستيفن رنكيمان[١] في كتابه " تاريخ الحروب الصليبية " مصوراً تلك المناظر: "كان المجاهدون المسيحيون يتفقدون البيوت والمساجد والحارات ويقتلون كل من عثروا عليه من الرجال والنساء والأطفال "

[١] Steven Runciman مؤرخ بريطاني (7 July 1903 – 1 November 2000)

يقول ساجد مير : ومن الحيل التي استغلها المسيحيون لاضطهاد المسلمين واليهود والذين اختلفوا مع الكنيسة ، هو ما عرف بالاحتساب الديني ... وقد بدأ استغلال هذه الحيلة رسمياً في القرن الثاني عشر ، ثم استعملت ضد المصلحين المسيحيين الذين سعوا لبعض الحريات الدينية والمدنية ، فقاومتهم الكنيسة مقاومة شديدة ومنعتهم بكل قوة وعنف .

يقول المؤرخ المشهور جِبَون[1] : " حمت الكنيسة الرومانية مملكتها بالعنف ، المملكة التي حصلت عليها بخداع ".

ولقد كان عدد النصارى المهلكين المقتولين بتهم في السنوات القليلة أيام المحاسبة الداخلية ، أكثر بكثير من عهد الملوك الرومان الصابئين الذين ظلموا النصارى وشددوا عليهم قرابة ثلاثة قرون معروفة بالظلم والجور على النصارى ، وقد جاوز عدد الهالكين من النصارى الملحدين (المخالفين للكنيسة الرومانية) مائة ألف نصراني في البلد الواحد (هولندا) .

جاء في تقرير أحد الأمناء المعتمدين في مهمة المحاسبة أن عدد المقتولين في هذه المحاسبة يجاوز ٣٤١ ألف شخص ، كما أجبر مئات الآلاف من المسلمين واليهود على قبول دين النصرانية .

ولقد اعترف المؤرخون النصارى أن المسلمين جوزوا مقابل مناصحتهم للنصارى ورفقهم بهم في القرون الماضية أشد العقاب ، حيث أُحرقوا وهم أحياء وقُتلوا بطريقة عشوائية واستعبد أطفالهم . ولقد أوذي الذين ألقوا في محاكم المحاسبة قبل الإعلان الرسمي للعقاب بأشد العذاب كل ذلك بحجة التفتيش والتحقيق حيث كان يُلقى مئات في السراديب الضيقة المظلمة المنتنة الغليظة المليئة بالحشرات والعقارب . وأوذوا واضطروا إلى الجوع. وملك موظفو محاكم المحاسبة جميع ممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة فور إلقاء القبض عليهم ..

ولم يكن هذا العنف خاصاً بأتباع الديانات الأخرى فقد كانت الفرقة الألبجنزية في فرنسا الجنوبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، لا تؤمن بصلب المسيح وقيامه من الأموات فأمر البابا إينو سنت الثالث [2]، بالجهاد ضدهم فقتل أكثر من مائة ألف فرد ودمرت العديد من القرى وأجبر المسيحيون الكاثوليكيون أتباع الفرق الأخرى في بعض الأماكن على قبول عقيدتهم ، وفي بعض الأماكن قتلوا سكان القرية كلهم وفيهم إخوانهم الكاثوليكيون .

وفي ١٥٧٢م هجمت الجيوش الحكومية والشعب الكاثوليكي في ظلام الليل على البروتستانتيين وقتلوا آلاف الناس ووصلت شدة القوة إلى "أنهم رموا الأطفال في النهر من النوافذ ".

[1] Edward Gibbon (١٧٣٧-١٧٩٤) أشهر مؤرخي الرومانية القديمة ومؤلف كتاب (انحطاط وسقوط الامبراطورية الرومانية)

[2] بابا الكنيسة الكاثوليكية من ٨ يناير ١١٩٨ وحتى وفاته ١٢١٦أكثر البابوات نفوذا وتأثيرا ويرى نفسه أعلى سلطة من ملوك أوروبا . نظم الحملة الصليبية الرابعة على بلاد المسلمين .

في عصر الملكة ميري ثيودور[1] التي عرفت "ميري سافكة الدم " أُحرق ثلاثمائة مسيحي بروتستانتي

...

ويحسن مراجعة كتاب المسيحية دراسة تحليلية لساجد ميرف يحديثه عن هذا الباب [2]

وننقل بعض الفقرات في هذا السياق عن جون ديفنبورت في كتابه "دفاع واعتذار لمحمد ﷺ والقرآن " يقول :

عام ١٤٤١ (اليانور جوبهام) دوقة (جلوسستر) عالم الفلك (روجر بولنج بروك) (كانون ثاوثول) (مارجرى جورديان) و (جوهام) تم اتهامهم جميعا بالسحر فتم القضاء على الدوقة وشنق (بولنج) وسحبه وتقطيعه وتم إحراق (مارجرى) ومات (ثاوثول) في السجن كما تم العفو عن (جوهام).

عام ١٥٣٥ – تسعة قساوسة رفضوا الاعتراف بالامتياز الروحي لهنري تم شنقهم وتقطيعهم إلى أربعة أجزاء في أراشية (تيبرن فيشر) أما (السير توماس مور) قاضي القضاة فتم قطع رأسه لنفس السبب .

عام ١٥٣٩ – رؤساء أديرة الرهبان (ريدنج) و (جلاستو برى) و (كولشستر) تم شنقهم وتقطيعهم إلى أربعة أجزاء لإنكارهم الامتياز الروحي للملك كما تم نشر وإعلان (القانون الدموي) أو (ست مقالات تأييدا للتعاليم البابوية في الاستحالة) وغيره ،

اضطهاد المصلحين في اسكتلندا وتم إحراق سبعة منهم بتهمة الهرطقة كما ظهرت بيانات الملك التي صوت لها البرلمان بحقه في استخدام قوة القانون ، فتم تدمير تام للدور الدينية في انجلترا وويلز – ٦٤٣ ديرا و٩٠ جامعة و ٢٣٧٤ كنيسة كبيرة وكنيسة صغيرة حرة و ١٠٠ مستشفى .

عام ١٥٨٨ – أعمال قسوة بالغة ضد الكاثوليك الإيرلنديين .[3]

وبعد هذه النقولات هل لدى النصارى اليوم وجهٌ يتهمون فيه المسلمين بالقسوة ونشر الدين بالسيف ؟ فواعجباً !

[1] ملكة إنكلترا وآيرلندا (١٥٥٣ - ١٥٥٨ م) وهي ابنة الملك هنري الثامن ملك إنجلترا

[2] المسيحية لساجد مير نقولات من ص٣١١-٣١٨

[3] دفاع واعتذار لمحمد ﷺ والقرآن ص١٧٩-١٨٥

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

فائدة (٤٥)

نجد في هذه الآية أنَّ على الداعي لأهل الكتاب ، أن يستعمل كتابَهم الذي يؤمنون به في إثبات ما يدعوهم إليه ، إما عن الإيمان بوحدانية الله وإبطال التثليث ، أو عن الإيمان بنبوة محمد ﷺ ونحوها من المسائل التي تَعرض للداعي في نقاشه لأهل الكتاب، فإن إثبات ذلك من كتابهم له أعظم أثر في نفوسهم. وقد يوحي بتأثير هذه الوسيلة قوله تعالى ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ ومن هنا للتبعيض. فكثير منهم يقبل هذه الدعوة .

ويشهد لهذا المعنى ما جاء في قصة نزول قوله تعالى ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ المائدة: ٤٣

** الفائدة / على اختيار ابن جرير رحمه الله للمقصود بـ ﴿ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أي كتابهم التوراة .

فائدة(٤٦)

في قوله تعالى ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ دليل على أهمية الإنصاف والعدل معهم في نقاشهم عند تقرير الحقائق ، وعدم التعميم في إضافة النقائص بغير وجه حق ، ومن نماذج الإنصاف معهم في هذه السورة قوله تعالى ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾ آل عمران: ٧٥ وقوله تعالى ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ آل عمران: ١١٣ الآيات .وهذا العدل والإنصاف مظهرٌ مشرقٌ من مظاهر الإسلام ،وعاملٌ مؤثرٌ من عوامل شرح الصدور لقبول الحق واعتناقه .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۖ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

فائدة (٤٧)

من الأمور التي تمنع بعض أهل الكتاب من الدخول في الإسلام ، أو قبول التحاكم للحق أينما كان ، هو ما لديهم من اعتقادات فاسدة ومقدمات منحرفة بنوا عليها نتائج خاطئة ، كما في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ فمن المهم جداً للداعية في مثل هذا الحال نقض هذه الدعاوى وإبطالها،وبيانُ مَنشئها الفاسد ، كما في هذه الدعوى . وكقولهم : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

المائدة: .

فائدة (٤٨)

ومن الوسائل في دعوة أمثال هؤلاء أن يعرض لهم الحال والمآل المخالف لتصوراتهم ، مما يدعوهم للتوقف والتفكر ومراجعة النفس .يعرض هذا الأمر بلغة واثقة مشفقة وصادقة

كما في قوله تعالى هنا : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

فائدة (٤٩)

يقول ابن كثير رحمه الله :

"وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَنْبِيهٌ وَإِرْشَادٌ إِلَى شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذِهِ الْأُمَّةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ حَوَّلَ النُّبُوَّةَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقُرَشِيِّ الْمَكِّيِّ الْأُمِّيِّ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَرَسُولِ اللَّهِ إِلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مَحَاسِنَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، وَخَصَّهُ بِخَصَائِصَ لَمْ يُعْطِهَا نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا رَسُولًا مِنَ الرُّسُلِ، فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ وَشَرِيعَتِهِ وَإِطْلَاعِهِ عَلَى الْغُيُوبِ الْمَاضِيَةِ وَالْآتِيَةِ، وَكَشْفِهِ عَنْ حَقَائِقِ الْآخِرَةِ وَنَشْرِ أُمَّتِهِ فِي الْآفَاقِ، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَإِظْهَارِ دِينِهِ وَشَرْعِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ، وَالشَّرَائِعِ، فصلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ، ما تعاقب الليل والنهار."[1]

وفي العهد القديم في سفر التكوين بمعنى هذا الخبر وهذه البشارة يقول ابن القيم رحمه الله :

" قَالَ فِي التَّوْرَاةِ فِي السِّفْرِ الْأَوَّلِ: (إِنَّ الْمَلَكَ ظَهَرَ لِهَاجَرَ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَ: يَا هَاجَرُ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ؟ وَإِلَى أَيْنَ تُرِيدِينَ؟ فَلَمَّا شَرَحَتْ لَهُ الْحَالَ، قَالَ: ارْجِعِي فَإِنِّي سَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَكِ وَزَرْعَكِ حَتَّى لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وَهَا أَنْتِ تَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ تَذَلُّلَكِ

[1] تفسير ابن كثير ٦٩٧/٢

وَخُضُوعَكِ، وَوَلَدُكِ يَكُونُ وَحْشِيَّ النَّاسِ، وَتَكُونُ يَدُهُ عَلَى الْكُلِّ، وَيَدُ الْكُلِّ مَبْسُوطَةٌ إِلَيْهِ بِالْخُضُوعِ) [1].

وَهَذِهِ بِشَارَةٌ تضمنت أَنَّ يَدَ ابْنِهَا عَلَى يَدِ كُلِّ الْخَلَائِقِ، وَأَنَّ كَلِمَتَهُ الْعُلْيَا، وَأَنَّ يَدَ ابْنِهَا عَالِيَةٌ، وَيَدَ الْخَلْقِ تَحْتَ يَدِهِ، فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ هَذَا الْوَصْفُ سِوَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وَكَذَلِكَ فِي السِّفْرِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّوْرَاةِ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ إِنِّي جَاعِلٌ ابْنَكَ إِسْمَاعِيلَ لِأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ إِذْ هُوَ مِنْ زَرْعِكَ.

وَهَذِهِ بِشَارَةٌ بِمَنْ جُعِلَ مِنْ وَلَدِهِ لِأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ، وَلَيْسَ هُوَ سِوَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُوَ مِنْ صَمِيمِ وَلَدِهِ، فَإِنَّهُ جُعِلَ لِأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ، وَمَنْ تَدَبَّرَ هَذِهِ الْبِشَارَةَ جَزَمَ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّ إِسْمَاعِيلَ لَمْ تَكُنْ يَدُهُ فَوْقَ يَدِ إِسْحَاقَ قَطُّ، وَلَا كَانَتْ يَدُ إِسْحَاقَ مَبْسُوطَةً إِلَيْهِ بِالْخُضُوعِ، وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ وَقَدْ كَانَتِ النُّبُوَّةُ وَالْمُلْكُ فِي وَلَدِ إِسْرَائِيلَ وَالْعِيصِ وَهُمَا ابْنَا إِسْحَاقَ. فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَقَلَتِ النُّبُوَّةُ إِلَى وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَدَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ، وَخَضَعَتْ لَهُ الْمُلُوكُ، وَجُعِلَ خِلَافَةُ الْمُلْكِ إِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، وَصَارَتْ أَيْدِيهِمْ فَوْقَ أَيْدِي الْجَمِيعِ، وَأَيْدِي الْجَمِيعِ مَبْسُوطَةً إِلَيْهِمْ بِالْخُضُوعِ، وَكَذَلِكَ فِي السِّفْرِ الْأَوَّلِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: إِنَّ فِي هَذَا الْعَامِ يُولَدُ لَكَ وَلَدٌ اسْمُهُ إِسْحَاقَ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ هَذَا يَحْيَى بَيْنَ يَدَيْكَ وَيُمَجِّدُكَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَدِ اسْتَجَبْتُ لَكَ فِي إِسْمَاعِيلَ وَإِنِّي أُبَارِكُهُ وَأُنَمِّيهِ وَأُعَظِّمُهُ جِدًّا جِدًّا بِمَا قَدِ اسْتَجَبْتُ فِيهِ، وَإِنِّي أُصَيِّرُهُ إِلَى أُمَّةٍ كَبِيرَةٍ عَظِيمَةٍ، وَأُعْطِيهِ شَعْبًا جَلِيلًا. وَلَمْ يَأْتِ مِنْ صُلْبِ إِسْمَاعِيلَ مَنْ بُورِكَ وَعَظُمَ وَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْعَلَامَاتُ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتِهِ، مَلَئُوا الْآفَاقَ وَأَرْبُوا فِي الْكَثْرَةِ عَلَى نَسْلِ إِسْحَاقَ.[2]

[1] التكوين ١٦/٧-١٢

[2] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص٣٢١

﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧ ﴾

فائدة (٥٠)

الآية تفتح آفاقاً في عدم اليأس من دعوة أي أحد مهما ساء تاريخه ، أو تاريخ أسرته ، أو واقعه أو واقع والديه ، فالله ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ يونس: ٣١ .

فائدة (٥١)

يلهمنا قوله تعالى ﴿ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧ ﴾،أن الهداية هبةٌ من الله عز وجل ، ومنةٌ وتوفيقٌ غير مرتبط ارتباطاً مباشراً بحجم السبب المبذول ، ولا بنوعيته ، أو طبيعة الداعي وقدرته ، فلا ييأس من لم يُستجب له ، ولا يغترَّ من فتح الله عليه بل يشكر الله كي يزيده الله تعالى .

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨ ﴾

فائدة(٥٢)

فيها توجيه مهمٌ لكل مسلم ، خاصة الدعاة منهم والذين يخالطون غير المسلمين ويقضون زمناً في أوساطهم ؛ أن يتقوا التقارب المفضي لذوبان شخصيتهم وهويتهم في المجتمع غير المسلم ، وليكن اعتمادهم في تسيير قافلة العمل الدعوي على إخوانهم المؤمنين .

فائدة (٥٣)

فيه إشارة إلى أن المحافظة على المسلم الجديد المقبل ، أولى من دعوة غير المسلم عند التعارض ؛بسببٍ ناتجٍ عن قصور الطاقات ، أو الإمكانيات ونحوه ، وهذا المفهوم يفيد في بناء الخطط والبرامج الدعوية لمكاتب توعية الجاليات ، فلربما تَقلُّ لدى البعض البرامج الموجهة للمسلم الجديد، مقابل التركيز على برامج دعوة غير المسلمين . فالتوازن إذن هو المطلوب مع توافر الإمكانيات وإلا فتقدير الواقع والواقعة لاختيار العمل الأمثل .

﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

فائدة (٥٤)

من القضايا المهمة في تربية المسلم الجديد ،أن يتربى على مراقبة الله عزوجل في السر والعلن ، فمِنْ تجربة أقول : إنَّ بعضَهم وبعد إسلامه ، يحتفظ ببيئته الماضية وصداقاته القديمة الفاسدة ، بعيداً عن أنظار مجتمعه الجديد ، وفي الغالب مع كثرة الاحتكاك بهم ، وضعف المناشط المقدمة له ، يؤول هذا الأمر لضعف إيمانه مستقبلاً ومن ثَمَّ احتفاظه بصورة الإسلام فقط ،دون حقيقته ،ودون ممارسةٍ لشعائره .وينزوي عن أنظار من عرفوه في بداية إسلامه .

ولو تم غَرْسُ تعظيمِ الله في قلوبهم ،واطِّلاعه على ما في صدورهم وإن أخفوه ،فسيكون عاملاً في ثباته بعد توفيق الله تعالى .

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾

فائدة (٥٥)

الاتِّباع هو مقياس صدق المحبة ،ومن منظورٍ آخر فتنمية محبة الله تعالى وتعليق الناس به سبيل لاتباع النبي ﷺ وقبول دعوته ، فحري بكل داعية أن يعطي هذا الجانب أهمية من خلال الأساليب التي يسلكها في دعوة المسلمين ، وغير المسلمين باطلاعه على صفات الله تعالى التي من تأملها زاد حبه لله تعالى . وتحفيزهم لتذكر آلاء الله جل وعلا علينا ونعمته .وكذلك الحال فيما يتعلق بسيرة المصطفى ﷺ كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

فائدة (٥٦)

في سورة آل عمران وردت قصة زكريا عليه السلام وهبة الله تعالى له يحيى ،وكفالة زكريا لمريم عليهم السلام ، وهذه القصة جاءت في الكتاب الذي بين أيدي النصارى اليوم (١) وقد أكد القرآن الكريم على بعض المعاني في القصة ، وأضاف عليها بعض الأحداث وصوب بعضها .فخبر كفالة زكريا لمريم عليهم السلام لم يُذكر في كتب أهل الكتاب .

وفي هذا المقام إشارة لصدق ما جاء به النبي ﷺ وأنه من عند الله حقاً وصدقاً ففي سياق تصديق بعض الأحداث كما جاءت في كتاب النصارى دليل على تصديق الخبر للكتب من قبله ، وأما اختلافه معهم في بعض التفاصيل وإضافة بعض الأحداث ، وتصويب بعضها فدليل على أن هذه القصة ليست مقتبسة من كتبهم ، ولم تُنسخ منهم. ولم يكن ليعلِّمُه بشر ، إذ علم معادوه من قومه ، وغيرهم أنه لم يتلق من أحد عليه الصلاة والسلام إذ كيف يُظن ذلك و

(١) لوقا ٥/١

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ١٠٣﴾ النحل: ١٠٣

، وكيف يرتاب الباحث عن الحق ولم يكن يقرأ عليه الصلاة والسلام ولا يكتب ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨﴾ العنكبوت: ٤٨ . فهو كتاب ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ فصلت: ٤٢ . .ولذا أكَّد الله تعالى على هذا المعنى في هذه السورة لتفاصيل هذه الجزئية وهي كفالة مريم عليها السلام ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾ آل عمران: ٤٤.

.

ولو أراد اثبات التوافق لأثبته من كل وجه لكنه عليه الصلاة والسلام أخبر ما وقع صدقاً ونقلاً عما أوحاه الله تعالى إليه . ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾ هود: ٤٩

فائدة (٥٧)

هذه الآية توضح منهج القرآن الكريم مع الأنبياء ، وعقيدة المسلمين في النبيين ،من الإيمان بهم واحترامهم ، وتوقيرهم والثناء عليهم وتزكيتهم . وإذا نظرت إلى الكتاب المقدس عند النصارى تجد فيه كثيراً مما يسيء لأنبياء الله عليهم السلام . فهم يخبرون عن نوح عليه السلام بأنه يشرب الخمر ويسكر ويتعرى -حاشاه- . (التكوين ٩:٢٠) وعن نبي الله لوط عليه السلام أنه زنى بابنتيه –حاشاه عليه السلام - (سفر التكوين ١٩: ٢٧-٣٠) وهكذا مع غيرهم من الأنبياء عليهم السلام وفي هذا تأكيد على أن ما بأيديهم من الكتاب ، دخله التحريف والتعديل فالله عز وجل مُنزَّه عن وصف رسله وأنبيائه بهذه الأوصاف ، ثم يدعو الناس لمتابعتهم ! فلا ريب أن هذا الكتاب قد امتدت إليه أيدٍ عابثة ، حرفت وزوَّرت ، أو عقولٍ ناقصة قصُرت أفهامُها ولم تُعرِب ألسنتها .

﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

﴿٣٦﴾

فائدة (٥٨)

في هذه الآية حجة في نفي ألوهية المسيح عليه السلام ، وأنه من ذرية بشرية ممن خلق الله تعالى ، ولو كان إلهاً ما صح أن يوصف بهذا الوصف ، وأنه من ذرية مريم عليها السلام ، وهذا المعنى موجود في الكتاب الذي بين أيدي النصارى اليوم ففي ما يزيد على ثمانين موضعاً يُوصف عيسى عليه السلام بأنه " ابن الإنسان" .

فائدة(٥٩)

وردت قصة زكريا عليه السلام وما رزقه الله من الولد قبل حدث ميلاد عيسى عليه السلام ؛ توطئة له ، إذ أن بعض المنتسبين للمسيح ، يرون أن صفة ميلاده دليلٌ على أنه إله أو ابن إله . لكنَّ الله عزوجل أعطى زكريا عليه السلام ابناً مع كِبَرِ سنِّه ، وعُقمِ زوجه ، ليستبين الشأن في قصة عيسى عليه السلام ، وأنها من جنس المعجزات المرتبطة بقدرته جل وعلا على فعل ما يشاء ، وقصة زكريا كما أنها وردت في القرآن في غير ما موضع ، وردت أيضا في الكتاب المقدس عند النصارى (لوقا- ١/ ٥ -٥٧-٨٠)

وقد ناقشتُ بعض النصارى فكان يمتعض من عدم تصديقنا أن المسيح ابنُ الله ، حيث ولد بهذه الطريقة ، فهو يرى أن طريقة ميلاده كفيلة لإثبات أنه ابن الله .لكنه ليس كما زعموا بل هو آية ومعجزة من الله العلي القدير. لكنهم ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ

﴿٧٤﴾ الحج: ٧٤ .

فائدة(٦٠)

قد استجاب الله دعاء امرأة عمران فأعاذ الله عيسى عليه السلام كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الحِجَابِ»[١]

وعند النصارى في كتابهم أن الشيطان امتحن المسيح عليه السلام ، لكن عيسى عليه السلام استطاع أن يحجه ويرد كيده .[٢]

ويقال تعليقا على ما جاء في هذه الآية هل كان المسيح يحتاج للاستعاذة من الشيطان لو كان إلها ؟!وتأمل كيف كانت تدعو امرأة عمران ربها ليحفظ لها ذريتها ؟

وتعليقا على ما ورد في كتاب النصارى من قولهم " فقال له يسوع : اذهب يا شيطان فقد كتب للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد "[٣] فقد رد الأمر لله تعالى لا لنفسه ، ولو كان إلهاً لما أمكن أن يتسلط الشيطان عليه ويختبره .

❁❁❁❁❁

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

فائدة (٦١)

نجد في كتاب الله عزوجل توقيراً وتقديراً لمريم عليها السلام ولمكانتها ، فقد أخبر جل وعلا أنه أنبتها نباتاً حسناً ، وكفَّلها زكريا ، وذكر القرآن الكريم مِن أحوالها في عبادتها ، ورزق الله تعالى لها، فكان زكريا عليه السلام يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ، وكان هذا الإكرام هو ما دفع زكريا عليه السلام أن يطلب ويدعو الله عزوجل الولد .

[١] البخاري برقم (٣٢٨٦) ، مسلم برقم (٢٣٦٦) .
[٢] متى ٤/٥-١١
[٣] متى ٤/١٠

ويخبر جل وعلا أنه اصطفى مريم عليها السلام وطهرها ، واصطفاها على نساء العالمين ، ونادتها الملائكة آمرة إياها بالقنوت لله والصلاة بما فيها من قيام وركوع،

بل في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ» [1]

وفي حديث آخر يقول ﷺ: " كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ " [2]

في كل هذا دليل على أن هذا الكتاب من عند الله تعالى صدقاً فقد جاء بالثناء على مريم عليها السلام واصطفائها على نساء العالمين وأثنى عليها ثناء عاطراً بل سمى إحدى سور القرآن باسمها وهي من سلالة بني إسرائيل ويخبر النبيُّ العربيُّ صلى الله عليه وسلم قومَه العرب بذلك كله لا يجد غضاضة ، لأنه من عند ربه ولا يجدون هم في أنفسهم شيئاً لإيمانهم بربهم .

فائدة (٦٢)

ولنا أن نقارن بيان القرآن الكريم لبر عيسى عليه السلام بأمه وتوقيره لها . وكيف يصف كتاب النصارى معاملة عيسى عليه السلام لأمه ؟ فأي الفريقين أولى بعيسى عليه السلام وأعظم توقيرا له ؟

ففي القرآن يقول جل وعلا :

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ مريم: ٣٠ – ٣٤.

بينما في الانجيل ماذا يقولون عن علاقة عيسى عليه السلام بأمه ؟

[1] البخاري برقم (٣٤٣٢) ، مسلم برقم (٢٤٣٠) .
[2] البخاري برقم (٣٤١١) ، مسلم برقم (٢٤٣١) .

وَلَمَّا فَرَغَتِ الْخَمْرُ، قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ لَهُ: لَيْسَ لَهُمْ خَمْرٌ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ :ما لِي وَلَكِ يَا امْرَأَةُ !لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ[1]

وفي موضع آخر:

فقالَ لَه أحَدُ الحاضِرينَ : أُمُّكَ وإخوتُكَ واقفونَ في خارِجِ الدّارِ يُريدونَ أنْ يُكلِّموكَ. فأجابَهُ يَسوعُ :مَنْ هيَ أُمّي، ومَنْ هُمْ إخْوَتي؟ وأشارَ بيدِهِ إلى تلاميذِهِ وقالَ: هؤُلاءِ هُمْ أُمّي وإخوَتي [2].

فماذا يحب النصارى المحبون للمسيح عليه السلام أن يكون تعامله مع والدته كما وصفه القرآن أم كما ينقله من حرف كتابهم ؟

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

فائدة (٦٣)

من المعتقدات الفاسدة لدى النصارى ، ما يعتقدون في المسيح عليه السلام أن كلمة الله الخالقة الأزلية ، حلت في مريم عليها السلام ، واتحدت بإنسان كامل ويتأولون على ضلالهم ما ورد في هذه الآية ، من قوله تعالى : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ . ويبين أبو العباس ابن تيمية رحمه الله أنهم ضلوا في تأويله كما ضلوا في تأويل غيره من كلام الأنبياء ويعلق موضحاً :

في هذا الكلام وجوه تبين أنه مخلوق وليس هو ما يقوله النصارى منها

أنه قال : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ وقوله ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ نكرة في الإثبات تقتضي أنه كلمة من كلمات الله ليس هو كلامه كله كما يقول النصارى .

[1] يوحنا ٢/٣-٤
[2] متى ١٢/٤٧-٤٩

ومنها :أنه يبين مراده بقوله ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ وأنه مخلوق حيث قال ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ آل عمران: ٤٧. كما قال في الآية الأخرى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ٥٩.

وقال تعالى في سورة كهيعص : ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ مريم: ٣٤ - ٣٥

فهذه ثلاث آيات في القرآن تبين أنه قال له : "كن" فيكون وهذا تفسير كونه كلمة منه .

وقال ﴿ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ أخبر أنه ابن مريم وأخبر انه وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين وهذه كلها صفة مخلوق والله تعالى وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيء من ذلك .

وقالت مريم ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾ فبين أن المسيح الذي هو الكلمة هو ولد مريم لا ولد الله سبحانه وتعالى)[1] .

ثم قال بعد ذلك :

" فلو قدر أن المسيح نفس الكلام فالكلام ليس بخالق فإن القرآن كلام الله وليس بخالق والتوراة كلام الله وليست بخالقة وكلمات الله كثيرة وليس منها شيء خالق فلو كان المسيح نفس الكلام لم يجز أن يكون خالقا ، فكيف وليس هو الكلام ، وإنما خلق بالكلمة وخص باسم الكلمة ؟ فإنه لم يخلق على الوجه المعتاد الذي خلق عليه غيره بل خرج عن العادة فخلق بالكلمة من غير السنة المعروفة في البشر.[2]

[1] الجواب الصحيح ٨٨٧/١
[2] الجواب الصحيح ٨٩٠/١

فائدة (٦٤)

ومن تأمل في كتاب النصارى ، وجد ثمة خلل في فهم مراد الله تعالى ، وهذا الخلل نتج عن سوء في الترجمة ، أو عن قصور في فهم المراد في مرحلة نقل محتوى الكتاب ، أو بتحريف وتأويل متعمد ، وقد وقع في خاطري أن يُفرد موضوعٌ يعالج هذه القضية بعنوان (إعادة قراءة نص الكتاب المقدس) يبين مواطن الخلل في فهمهم لبعض ما ورد في الكتاب . ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مواضع يناقش في كتابه الجواب الصحيح تصحيح بعض هذه المفاهيم .

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

فائدة (٦٥)

في المهد : أي صبياً رضيعاً

وكهلا : فوق الغلومة ودون الشيخوخة

يقول ابن جرير رحمه الله " وإنما أخبر الله عز وجل عباده بذلك من أمر المسيح وأنه كذلك كان ، وإن كان الغالب من أمر الناس أنهم يتكلمون كهولا وشيوخا ، احتجاجاً به على القائلين فيه من أهل الكفر بالله من النصارى الباطل ، وأنه كان منذ أنشأه الله مولوداً طفلاً ثم كهلاً يتقلب في الأحداث ، ويتغير بمرور الأزمنة والأيام ، من صغر إلى كبر ، ومن حال إلى حال ، وأنه لو كان كما قال الملحدون فيه ، كان ذلك غير جائز عليه ، فكذب بذلك ما قاله الوفد من أهل نجران الذين حاجوا رسول الله ﷺ ، وأعلمهم أنه كسائر بني آدم إلا ما خصه الله به من الكرامة التي أبانه بها منهم "[1]

[1] الطبري ٣٤٩/٣

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩ ﴾

فائدة (٦٦)

في قوله تعالى ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ حجة ظاهرة لمن يدعو النصارى من غير بني إسرائيل ، بأن يخبرهم أن عيسى عليه السلام إنما كان رسولاً لبني إسرائيل فقط ، بخلاف رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والتي كانت عامة للثقلين الإنس والجن .

وخصوصُ رسالة المسيح لبني إسرائيل ، جاءت في الكتاب المقدس عند النصارى في رده على المرأة الكنعانية :(ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة إلى بيت إسرائيل)[١]

يقول د. سفر الحوالي وفقه الله "غير أن من أعظم ما وقع فيها من تحريف – وهو الذي يهمنا بسبب الحديث عن التنصير – أن بولس الذي يدعون أنه بولس الرسول (أو شاؤول اليهودي كما كان يسمى) ، قد بدل دين المسيح وحوَّله من دين محدود في بني إسرائيل فقط ، إلى دين عالمي ، والله تبارك وتعالى بيَّن في كتابه أنَّ عيسى إنما هو رسول إلى بني إسرائيل ، فقال :

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ ولم يبعث الله تعالى قبل محمد ﷺ رسولاً إلى العالمين كافة ، بل هذا من خصائصه ﷺ ، كما ثبت ذلك في أكثر من حديث وآية . "[٢]

[١] متى ١٥/٢٤
[٢] الجواب الصحيح ١/٨ (مقدمة المحقق)

فائدة (٦٧)

ونرى أن الله عزوجل وصف عيسى عليه السلام بوصف الرسالة في هذه الآية في بيان حاله ، وكذلك تدل نصوص الكتاب المقدس عند النصارى بوضوح ،منها قوله " لم آت من نفسي بل هو الذي أرسلني "[١] ومنها "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته "[٢] . وغيرها من النصوص الصريحة التي تفيد ما يعتقده المسلمون في المسيح أنه عبد لله ورسوله .صلى الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم .

فائدة (٦٨)

يقول تعالى ﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴾ ،وهذه المعجزة لم ترد في كتاب النصارى ، ومع ذلك أثبتها القرآن في دليل واضح أن القرآن نزل مستقلاً من عند الله ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينقله عن أحد ممن قبله قط، ومن المعلوم أن هذا الخبر، يثبت ما يفيد كمال رسالة المسيح عليه السلام ويدل عليها .

فائدة(٦٩)

في تكرار قوله تعالى﴿ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴾ بيانٌ لحقيقة المعجزة ، وأنَّ الله تعالى هو الذي أجراها على يد المسيح عليه السلام لإثبات عبوديته لله جل وعلا ورسالته، وهذا المعنى ورد في كتاب النصارى اليوم فقد جاء فيه "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني "[٣]

وفي مشهد إحياء الموتى ، يذكر انجيل يوحنا (٤٢/١١) أن عيسى عليه السلام ابتهل لله تعالى ليحقق له ذلك .

[١] يوحنا ٤٢/٨
[٢] يوحنا ٣/١٧
[٣] يوحنا ٣٠/٥

وهنا أخبر الله عز وجل أنه لم يفعله إلا بإذنه جل وعلا وهو من النعم التي أنعمها عليه.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾

فائدة(٧٠)

فعيسى عليه السلام جاء مصدقا للتوراة كما في هذه الآية . وقد جاء ما يؤيده من كتب النصارى من قولهم : (لا تظنوا أني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء ما جئت لألغي بل لأكمل) [١] فعلم أن مبدأ تصديق الأنبياء السابقين ، قرينة صدق الدعوى . فهو حال نبينا محمد ﷺ مع من قبله كما هو حال عيسى عليه السلام مع من قبله .

ومع ذلك يعتقد النصارى بنسخ بعض الأحكام التي جاء بها موسى عليه السلام ، فقد ثبت في التوراة تحريم أشياء منها الخنزير والأرنب والوبر وغيرها ، وهي من شريعة اليهود وجاء بولس ونسخ ذلك ، فقد جاء في الرسالة الرومية " فأنا عالم بل مقتنع من الرب يسوع أنه لا شيء نجس في ذاته أما إن اعتبر أحد شيئا ما نجسا فهو نجس في نظره ". وغيرها من المسائل والتي تركوا فيها شريعة موسى عليه السلام كالختان وغيره .[٢]

فإذا سلَّموا لنسخ بولس لشريعة موسى عليه السلام فعلام يستبعدون أن تنسخ شريعة عيسى عليه السلام بأمر رب العالمين على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وما نسخ أهدى مما كان فدل على أنه رسول رب العالمين لزمهم الإيمان به وتصديقه .

فائدة(٧١)

جاء على لسان عيسى عليه السلام هنا : ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾

[١] متى (١٧/٥)
[٢] مقالة في موقع شبكة الإسلام يعنوان "نسخ الإنجيل بالقرآن "

، فأمرهم بتقوى الله تعالى وجعل الطاعة له ، فدل على أنه عليه السلام لا يملك لنفسه ولا لهم نفعاً ولا ضراً ، وإنما هو بشرٌ رسول ، أوحي إليه فامتثل ما أمره ربه ودعاهم لطاعته ليقودهم لما فيه خيرهم ، ولن تجد في كتاب النصارى أمراً منه عليه السلام بتقواه أو الخوف منه بل غاية ما هنالك الأمر بالطاعة والانقياد لأمر الله جل وعلا .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١ ﴾

فائدة(٧٢)

ساوى عيسى عليه السلام بينه وبينهم في أصل العبودية لله ، فدل على أن علاقتهم جميعاً بالله علاقة عبد بربه لا ابن بأبيه ، ولا إله بنفسه . فلم يدعُ إلى عبادة نفسه ولا سؤاله والالتجاء إليه . ووصف عبادة الله وحده بالصراط المستقيم فعُلم أن إشراك غيره معه زيغ وضلال وتنكب عن الصراط المستقيم .

وقد ورد نص بهذا المعنى في كتابهم المقدس : "إني سأصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم "[1]

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣ ﴾

فائدة(٧٣)

نجد هنا خطاب الحواريين لربهم جل وعلا مباشرة ، رغم وجود عيسى عليه السلام بين أظهرهم ، فلو عرفوا أنَّ له شيئاً من صفات الألوهية لتوجهوا إليه بالدعاء ، وقد تقربوا إلى الله بصالح عملهم وهو الإيمان بما أنزل واتباع الرسول عيسى عليه السلام ، وال هنا للعهد الذهني . وحتى في كتاب النصارى علَّمهم المسيح عليه السلام أن يدعوا الله تعالى

[1] يوحنا (٢٠/١٧)

ويلتجئوا إليه ، ولم يعلمهم أن يلتجئوا إلى نفسه عليه السلام " فقال لهم : عندما تصلون ، قولوا : يا أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض .خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم . واغفرلنا خطايانا لأننا نحن أيضا نغفرلكل من يذنب إلينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير"[1] .

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

فائدة (٧٤)

قد يورد بعض النصارى شبهةً على المسلمين في معنى هذه الآية ، والتي تُفيد عندهم وفاة عيسى عليه السلام . ويظهرلي - والله أعلم - أنَّ كثيراً من الأخطاء والتحريفات التي حصلت في كتبهم منشؤها من سوء الفهم للكلام الذي نقل للغات أخرى بفهم مغلوط . ولكن الله بفضله ومنته عصم أمة محمد ﷺ أن تجتمع على ضلالة . ورزق علماءها فهماً وأمانة وإخلاصاً .

فيُبيَن لهم أولاً : معنى الوفاة في الآية وهو على ما رجح ابن جريررحمه الله : " أي إني قابضك إلي فرافعك إلي قال : ومعنى الوفاة : القبض كما يقال توفيت من فلان ما لي عليه ،بمعنى : قبضته واستوفيته قالوا : فمعنى قوله ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ أي قابضك من الأرض حياً إلى جواري وآخذك إلى ما عندي بغير موت ورافعك من بين المشركين وأهل الكفربك "[2] .

يقول ابن تيمية رحمه الله : "لفظ التوفي : في لغة العرب معناه الاستيفاء والقبض وذلك ثلاثة أنواع :

[1] لوقا (٢/١-٤)
[2] الطبري ٣٧٣/٣

أحدها : توفي النوم .

والثاني: توفي الموت .

الثالث: توفي الروح والبدن جميعاً فإنه بذلك خرج عن حال أهل الأرض الذين يحتاجون إلى الأكل والشرب واللباس والنوم ، ويخرج منهم الغائط والبول . والمسيح عليه السلام توفاه الله وهو في السماء الثانية إلى أن ينزل إلى الأرض ، ليست حاله كحالة أهل الأرض في الأكل والشرب ، واللباس والنوم والغائط والبول ونحو ذلك "[1]

فَعَلِمْنَا هنا أن الوفاة ليس هو الموت بل من الاستيفاء والقبض روحاً وبدناً .إذ لو كان المراد الموت لما كان لعيسى عليه السلام ميزة على أراوح بقية المؤمنين فإن الله يقبضها ويرفعها إلى السماء .

فائدة (٧٥)

في قوله ﴿ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ ﴾ ردٌ على النصارى واليهود الذين يعتقدون أن عيسى عليه السلام قُتل أو صُلب فإن الله تعالى أخبر محتجاً عليهم بأنه رفع عيسى عليه السلام وطهره منهم وخلصه ولم يصلوا إليه بسوء .[2] كما قال تعالى ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ النساء: ١٥٧ – ١٥٨ . "ولو مات لم يكن فرق بينه وبين غيره".[3]

وقوله ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ معناه : أن نفي قتله هو يقين لا ريب فيه ، بخلاف الذين اختلفوا فإنهم في شك من قتله وغير قتله فليسوا مستيقنين أنه قتل إذ لا حجة معهم بذلك .[4]

[1] الجواب الصحيح ٨٦٨/١
[2] الطبري ٣٧٣/٣ بمضمونه .
[3] الجواب الصحيح ٨٦٨/١
[4] الجواب الصحيح ٨٧٠/١

فائدة (٧٦)

الآية فيها دلالة أن المسيح عليه السلام لم يكن إلهاً ، لأن الله تعالى قال لعيسى ولم يقل لنفسه ذلك " فلو كان المرفوع هو اللاهوت لكان رب العالمين قال لنفسه أو لكلمته : إني أرفعك إلي ."[١]

فائدة (٧٧)

"قد يعرض النصارى شبهةً بأنهم المقصودون بقوله تعالى ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ ﴾ فيقال بل ما ذكروه حجة عليهم لا لهم ، فإن الله أخبر المسيح أنه جاعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، وخبر الله حق ووعد الله صدق والله لا يخلف الميعاد ، فلما اتبع المسيح من آمن به ، جعلهم الله فوق الذين كفروا به من اليهود وغيرهم .ثم لما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين الذي بعث به المسيح وسائر الأنبياء قبله ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم مصدقاً لما جاء به المسيح ، وكان المسيح مبشراً برسول يأتي من بعد اسمه أحمد ، صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم أتبع للمسيح عليه السلام من النصارى الذين غيروا شريعته وكذبوه في ما بشر به ، فجعل الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوق النصارى إلى يوم القيامة كما جعلهم أيضا فوق اليهود إلى يوم القيامة .

[والمسلمون أشد تعظيما للمسيح ﷺ واتباعاً له بالحق ممن بدل دينه وخالفه من النصارى ، فإن المسلمين يصدقونه في كل ما أخبر به عن نفسه ولا يحرفون ما قاله عن مواضعه ، ولا يفسرون كلامه بغير مراده وكلام غيره من الأنبياء كما فعلت النصارى][٢]

والنصارى بعد النسخ والتبديل ليسوا متبعين المسيح ، لكنهم أتبع له من اليهود الذين بالغوا في تكذيبه وسبه ، فإنهم كذبوه أولاً وكذبوا محمد صلى الله عليه وسلم ثانياً ، فصاروا أبعد عن متابعة المسيح من النصارى ، فكانوا مجعولين فوق اليهود . والمؤمنون أمة محمد صلى الله عليه وسلم هم المتبعون للمسيح عليه السلام ومن سواهم كافر به، فأمة محمد صلى الله عليه وسلم فوق اليهود والنصارى إلى يوم القيامة ولهذا لما جاء المسلمون يقاتلون النصارى

[١] الجواب الصحيح ٨٧٠/١
[٢] الجواب الصحيح ٥٩٧/١

غلبوهم وأخذوا منهم خيار الأرض : الأرض المقدسة وما حولها من مصر والجزيرة وأرض المغرب ولم يزل المسلمون منتصرين على النصارى ، ولا يزالون إلى يوم القيامة لم تنتصر النصارى قط على جميع المسلمين ، وإنما تنتصر على طائفة من المسلمين بسبب ذنوبهم ثم يؤيد الله المؤمنين عليهم .ولو كان النصارى هم المتبعين للمسيح عليه السلام ، والمسلمون كفاراً به لوجب أن ينتصروا على جميع المسلمين لأن جميع المسلمين ينكرون إلهية المسيح ، ويكفرون النصارى . فعلم أن المتبعين للمسيح هم المسلمون دون النصارى "انتهى [1]

﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ٥٨﴾

فائدة (٧٨)

فيه أنَّ على الداعية أن يعرض قصة عيسى عليه السلام وأمَّه للنصارى كما وردت أحداثها في القرآن الكريم ، والضد يُعرف بضده فسياق القرآن الرائع والمترابط والصادق ، يؤثر بلا شك في النفس ، ويزعزع القناعات الخاطئة التي أُكتسبت من سماع الخبر بتناقضاته وأخطائه .

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾

فائدة (٧٩)

من مسوّغات الاعتقاد عند النصارى أن عيسى عليه السلام كان إلهاً ، حادثة ميلاده العجيبة والمعجزة إذ وُلد عليه السلام من غير أبٍ كما هو معلوم ، واستنتاجهم هذا ، نتيجة قصور نظرٍ منهم ؛ فالخروج عن المألوف لا يُخرجه من صفة الخلق إذا عُرفت قدرة الله تعالى .لذا ألزمهم الله تعالى الحجة بخلق آدم عليه السلام ، ولعل وجه الشبه بينهما كما ذكر ابن تيمية

[1] الجواب الصحيح ٨٤٥/١

رحمه الله : " والمسيح عليه السلام لم يُخلق من ماء رجل ، بل لما نفخ روح القدس في أمه حبلت به وقال الله : "كن" فكان ولهذا شبَّهه الله بآدم في قوله ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾

.فإن آدم خُلق من تراب وماء فصار طيناً ، ثم أُيبس الطين ثم قال له "كن" فكان وهو حين نفخ الروح فيه صار بشراً تاماً لم يحتج بعد ذلك إلى ما احتاج إليه أولاده بعد نفخ الروح "[1]

يقول الحسن بن أيوب رحمه الله : " قلنا لكم: قد كان ذلك، وليس أعجوبة الولادة توجب الإلهية ولا الربوبية؛ لأن القدرة في ذلك للخالق تبارك وتعالى لا للمخلوق، وعلى أنه يوجدكم: لأن حواء خلقت من فحل بلا أنثى، وخلق أنثى من ذكر بلا أنثى أعجب من ذكر من أنثى بغير ذكر، وأعجب من ذلك أن آدم خلقه الله من تراب، وخلق بشر من تراب أعجب وأبدع من خلق ذكر من أنثى بلا فحل! فما الفرق؟!"[2]

فائدة (٨٠)

لماذا لم يُسمَّ آدم عليه السلام بكلمة الله وسمي عيسى بذلك وكلاهما خُلق بـ "كن" ؟

يقول أبو العباس ابن تيمية رحمه الله عن آدم عليه السلام : " ولكن لم يُسم كلمة الله ، لأن جسده خُلق من التراب والماء وبقي مدة طويلة يقال : أربعين سنة ، فلم يكن خلق جسده إبداعياً في وقت واحد ، بل خلق شيئاً فشيئاً ، وخلق الحيوان من الطين معتاد في الجملة . وأما المسيح عليه السلام فخُلق جسده خلقاً إبداعياً بنفس روح القدس في أمه قيل له : " كن " فكان ، فكان له من الاختصاص بكونه خلق بكلمة الله مالم يكن لغيره من البشر[3]

[1] الجواب الصحيح ٧٢٠/١
[2] الجواب الصحيح ٥١/٢
[3] الجواب الصحيح ٧٢٠/١

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾

فائدة (٨١)

تُشرع المباهلةُ عندما تظهر الحجة على المناظر ، ويتبين الحقُ ويصله العلم ، ومع هذا يُعرض ويتولى ، ويكابر ، فقد أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام لما ظهرت حجتُه على نصارى نجران وتبين لهم أنه رسول الله إليهم إن لم يجيبوه ؛ أن يدعوهم إلى المباهلة وقد فعل، ولكنهم نكصوا وقبلوا الجزية ولو لاعنوه ما حال الحول وبحضرتهم منهم أحد إلا أهلك الله الكاذبين .

فالنبي ﷺ " أمر أن يباهل من قال : إنه إله (أي المسيح) . فيدعو كلٌ من المتباهلين أبناءه ونساءه وقريبه المختص به ، ثم يبتهل هؤلاء وهؤلاء ، ويدعون الله أن يجعل لعنته على الكاذبين ، فإن كان النصارى كاذبين في قولهم : " هو الله " حقت اللعنة عليهم ، وإن كان من قال : " ليس هو الله ، بل عبد الله " كاذباً حقت اللعنة عليه .

وهذا إنصافٌ من صاحب يقين ، يعلم أنه على الحق .[1]

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾

[1] الجواب الصحيح ٨٨٢/١

فائدة (٨٢)

يقول ابن تيمية رحمه الله :" ذكر الله قصة مريم والمسيح في هاتين السورتين[مريم- آل عمران] إحداهما مكية نزلت في أول الأمر مع السور الممهدة لأصول الدين وهي سورة "كهيعص" ،والثانية مدنية نزلت بعد أن أمر بالهجرة والجهاد ، ولهذا تضمنت مناظرة أهل الكتاب كما نزلت في براءة مجاهدتهم . "[١]

من هذا النص البديع لشيخ الإسلام رحمه الله نستشفُّ ملمحاً لطيفاً في مراحل دعوة أهل الكتاب ، وأنَّ عرض القصة بصورتها الصحيحة وربطها بقضايا أصول الدين مرحلة تسبق مرحلة المناظرة . وهذا يناسب في الغالب العامة في المواطن البعيدة عن مركز الديانة النصرانية المعاصرة في أوروبا ونحوها ..وتُعرض القصة أيضا في مرحلة المناظرة مع من يطلب الحجة والإقناع لتنقية شوائب الضلال في نفسه .. وسياق القصة يختلف باختلاف الفئة المستهدفة وطبيعة المُخَاطبين .

ففي سورة مريم كان السياق يتحدث عن قصة الحمل المعجز ، وتفاصيل ما حدث لمريم عليها السلام بعد ذلك ، في موقف المخاض ، ونداء الملك لها وتطمينه إياها ، وقدومها على قومها بطفلها ، وتهمتهم لها ، وتكلم الوليد في مهده ، وتقرير وحدانية الله تعالى ، وتنزيهه عن الولد ، وتخويفهم بعذاب الله تعالى .

أما في سورة آل عمران فلم يكن الحديث مطولا عن قصة الميلاد ، بل تمت الإشارة للبشرى وانتقل الحديث عن المسيح عليه السلام رسولاً ومعجزاته ، وحقيقة أمره ، وعبوديته لله تعالى ، وواقعه مع أتباعه ومآل أمره . في سياق مناظرة وجدال بالتي هي أحسن .

فائدة(٨٣)

إنَّ هذا لهو القصص الحق ،فقد جاء القرآن بخبر صدقٍ ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ﴾ الإسراء: ١٠٥ ، لم يأخذه ﷺ من أهل الكتاب قط . ففيه ردٌ على ما حرَّفوه ، واستدراكٌ لما أغفلوه ، وابتداءٌ لما لم يذكروه . يقول أبو العباس ابن تيمية رحمه الله : " هذا مع أن في القرآن من الرد على أهل الكتاب في بعض ما حرفوه ، مثل دعواهم أن المسيح عليه السلام صُلب وقول

[١] الجواب الصحيح ٣٥١/١

بعضهم : إنه إله . وقول بعضهم : إنه ساحر. وطعنهم على سليمان عليه السلام وقولهم : إنه كان ساحراً وأمثال ذلك ما يبين أنه لم يأخذ عنهم .
وفي القرآن من قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما لا يوجد في التوراة والإنجيل ، مثل قصة هود وصالح وشعيب وغير ذلك .

وفي القرآن من ذكر المعاد وتفصيله وصفة الجنة والنار، والنعيم والعذاب ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل ، بل التوراة ليس فيها تصريح بذكر المعاد وعامة ما فيها من الوعد والوعيد فهو في الدنيا كالوعد بالرزق والنصر والعاقبة والوعيد بالقحط والأمراض والأعداء ، وإن كان ذكر المعاد موجوداً في غير التوراة من النبوات ولهذا كان أهل الكتاب يقرُّون بالمعاد وقيام القيامة الكبرى وقد قيل : إن ذلك مذكوراً في التوراة أيضاً ، لكن لم يبسط كما بسط في غير التوراة .[1]

فائدة (٨٤)

قوله تعالى ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ ؛ ردٌ وإبطال لمقالتهم المشهورة في المسيح عليه السلام (هو إله حق من إله حق من جوهر أبيه) .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

[1] الجواب الصحيح ٣٠٢/١

فائدة(٨٥)

تستوقف هذه الآية متأمّلَها ببلاغتها وسموها وعمقها ، إنها نداءٌ ودعوة ، تستنهض مَن تخاطبهم بوصفهم (أهل الكتاب) ، وترفع همَّتهم بـ (تعالوا) ، وتُنصفهم بكلمة (سواء) ، هذه الدعوة تعيدهم لفطرتهم ، وتذكِّرهم بمقتضى رسالة أنبيائهم ؛ من التوحيد وإفراد الله بالعبادة دون ما سواه . هذه الآية تحرّرهم من قيود الرق والعبودية لأضرابهم من العبيد ، وتأخذ بنواصيهم لإسلام الوجه لله رب العالمين ، وقد كان النبي ﷺ يضمِّنها رسائلَه وخطاباته في دعوة أهل الكتاب .

فائدة(٨٦)

يقول ابن عثيمين رحمه الله تعليقا على هذه الآية : ينبغي للمسلم أن يعتز بدينه وأن يُعلنه ويُشهره خلافاً للضعفاء ، الذين عندهم ضعفٌ في الشخصية وقِلَّة الدين ، الذين يتسترون بدينهم مخافة أن يُعيروا به . حتى إنَّ بعضَهم كما قيل لي ، يخجل أن يصلي بين الناس ، يقول : أخشى أن أنسب إلى الدين ، والعياذ بالله . وهذا يدل على قِلَّة الإيمان وعلى ضعف الشخصية وأنَّ الإنسان ليس عنده رصيد يفتخر به ويعتز به .[١]

فائدة (٨٧)

يقول ابن عثيمين في فوائد الآية :

إشهاد الخصم على الحال التي يكون عليها خصمُه ، لقوله ﴿ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ لما في ذلك من الغضاضة عليه ، وكسر جبروته ، وعدم انقياده للحق .[٢]

فائدة (٨٨)

الصدح بكلمة الحق وكلمة الثبات والمفاصلة العلنية بالإيمان مهمة في نفوس الأتباع والمدعوين ، لأن إصرار الكفَّار على ضلالهم قد يُلبِس على من لم يفهم البرهان .

[١] تفسير القرآن الكريم ، سورة آل عمران لابن عثيمين (٣٧٥/١)
[٢] تفسير القرآن الكريم ، سورة آل عمران لابن عثيمين (٣٧٥/١)

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ ﴾

فائدة(٨٩)

في هذه الآية يُبطِل اللهُ عزوجل أن يكون إبراهيمُ عليه السلام يهودياً أو نصرانياً ؛ مقرراً ذلك بأن التوراة والإنجيل أُنزلت بعده. وفي نفس سياق الآيات يقول الله: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ ﴾

فأثبت لإبراهيم عليه السلام الإسلام مع كون القرآن نزل بعد إبراهيم عليه السلام ؟!

وهنا ثمة ملمح دعوي منهجي جميل. ولبيان ذلك فإنه يظهر في آية سورة الحج التالية وجه الخصوصية والعلاقة بين دين محمد ﷺ ودين إبراهيم ﷺ دون سائر الملل الأخرى اليهودية والنصرانية حتى قبل التحريف يقول جل وعلا :﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا ﴾ الحج: ٧٨ . يقول الطاهر ابن عاشور رحمه الله في تقرير اختصاص الدين الذي جاء به محمد ﷺ بملة إبراهيم عليه السلام :

" وَقَوْلُهُ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ زِيَادَةٌ فِي التَّنْوِيهِ بِهَذَا الدِّينِ وَتَحْضِيضٌ عَلَى الْأَخْذِ بِهِ بِأَنَّهُ اخْتُصَّ بِأَنَّهُ دِينٌ جَاءَ بِهِ رَسُولَانِ إِبْرَاهِيمُ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا لَمْ يَسْتَتِبَّ لِدِينٍ آخَرَ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ " أَيْ بِقَوْلِهِ: رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ [الْبَقَرَة: ١٢٩] ، وَإِذ قَدْ كَانَ هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ فَمَحْمَلُ الْكَلَامِ أَنَّ هَذَا الدِّينَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ، أَيْ أَنَّ الْإِسْلَامَ احْتَوَى عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ لِلْإِسْلَامِ أَحْكَامًا كَثِيرَةً وَلَكِنَّهُ اشْتَمَلَ عَلَى مَا لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ مِنَ الشَّرَائِعِ الْأُخْرَى مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ، جُعِلَ كَأَنَّهُ عَيْنُ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، فَعَلَى هَذَا الِاعْتِبَارِ يَكُونُ انْتِصَابُ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الدِّينِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْإِسْلَامَ حَوَى مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ. .[1] انتهى

وقال أيضا:

" وَمَعْنَى اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ الْوَاقِعِ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ أَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ بُنِيَ عَلَى أُصُولِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَهِيَ أُصُولُ الْفِطْرَةِ، وَالتَّوَسُّطُ بَيْنَ الشِّدَّةِ وَاللِّينِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ (سُورَة الْحَج: ٧٨) "[2]

:وقال في سورة النحل

فَحَصَلَ مِنْ قَوْلِهِ السَّابِقِ ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ النحل: ١٢٠ . ومن قَوْلِهِ هُنَا: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ، ثَلَاثُ فَوَائِدَ: نَفْيُ الْإِشْرَاكِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي جَمِيعِ أَزْمِنَةِ الْمَاضِي، وَتَجَدُّدُ نَفْيِ الْإِشْرَاكِ تَجَدُّدًا مُسْتَمِرًّا، وَبَرَاءَتُهُ مِنَ الْإِشْرَاكِ بَرَاءَةً تَامَّةً.

وَقَدْ عُلِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِهِ شَوَائِبُ الْإِشْرَاكِ لِأَنَّهُ جَاءَ كَمَا جَاءَ إِبْرَاهِيمُ مُعْلِنًا تَوْحِيدًا لِلَّهِ بِالْإِلَهِيَّةِ وَمُجْتَثًّا لِوَشِيجِ الشِّرْكِ. وَالشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ كُلِّهَا وَإِنْ كَانَتْ تُحَذِّرُ مِنَ الْإِشْرَاكِ فَقَدِ امْتَازَ الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنِهَا بِسَدِّ الْمَنَافِذِ الَّتِي يَتَسَلَّلُ مِنْهَا الْإِشْرَاكُ بِصَرَاحَةِ أَقْوَالِهِ وَفَصَاحَةِ بَيَانِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ فِي ذَلِكَ كَلَامًا مُتَشَابِهًا كَمَا قَدْ يُوجَدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْأُخْرَى، مِثْلُ مَا جَاءَ فِي التَّوْرَاةِ مَنْ وَصْفِ الْيَهُودِ بِأَبْنَاءِ اللَّهِ، وَمَا فِي الأناجيل من موهم بُنُوَّةِ عِيسَى- عَلَيْهِ السَّلَامُ- لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَمَّا يَصِفُونَ".[3]

فَنَخلُصُ من كلامه رحمه الله أن الإسلام الذي جاء به نبينا محمد ﷺ يشترك مع ملة إبراهيم عليه السلام في معلمين عظيمين :

[1] التحرير والتنوير - جزء ١٧ ص ٣٥٠
[2] التحرير والتنوير - جزء ١٤ ص ٣٢٠
[3] التحرير والتنوير - جزء ١٤ ص ٣١٩

الأول : يُسر الشريعة وسماحتها ورفع الحرج عن أتباعها .بخلاف ما في الأديان الأخرى من التضييق والتشديد وهذا المعنى قرره ابن عثيمين رحمه الله في رسالته " مباحث في أصول الدين"[1]

الثاني : الوضوح في بيان وسد ذرائع الشرك ووسائله وأبوابه ، والمحافظة الكبيرة على جناب التوحيد .

فائدة (٩٠)

في قوله تعالى : ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ **يقال لأهل الكتاب لا يحق لكم أن تجادلوا في محتوى القرآن محتجين به على تأييد عقيدتكم لأنكم لا تؤمنون به ولا تعلمونه .**

فائدة(٩١)

في إحدى الآيات ختمها الله تعالى بقوله عن أهل الكتاب ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ آل عمران: ٦٥

وفي الأخرى بقوله ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ آل عمران: ٦٦، **فكأنها إشارة أنَّهم لا يملكون في الاحتجاج على ما هم عليه (لا نقلٌ ولا عقلٌ) .**

❁❁❁❁❁

﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨﴾

[1] مباحث في أصول الدين ص١٢

فائدة (٩٢)

عرفنا الارتباط بين ملة إبراهيم عليه السلام وديننا الإسلام ، ولمّا كان إبراهيمُ عليه السلام مسألةَ اتفاقٍ واشتراكٍ بين الإسلام والنصرانية، فالجميع يؤمنُ به ، ويعلمُ أنه على الحق وينتسبون إليه ؛ كان من المناسب جعلُه نقطةَ انطلاقٍ للحوار مع النصارى وعَرْض الإسلام عليهم كما جاء في هذه الآية بهذه الحجة العظيمة ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

إن أولى الناس بالحق هم أولى الناس بإبراهيم .فمن هم ؟

إن دين إبراهيم عليه السلام هو إخلاص العبادة لله وحده دون ما سواه ، ومنابذة الشرك والمشركين ، حتى من أقرب الناس إليه . والمتأمل في اليهودية والنصرانية والإسلام يجد جلياً أنَّ الإسلامَ هو أقربهم معتقداً، ومنهجاً وسلوكاً لِما كان عليه إبراهيم عليه السلام . فمهما قيل في انتماء النصارى لإبراهيم عليه السلام فالمسلمون أولى به، ونبيهم ﷺ أولى بجده عليهما الصلاة والسلام ، كيف ومظاهر الشرك في دين النصارى اليوم جلية ، وعلى رأسها عقيدة التثليث ، التي تثبت لله شريكاً في الملك ، وإن زعم بعض النصارى أنها لا تتعارض مع التوحيد ولكنهم يعجزون عجزاً تاماً عن تفسير التثليث بما يوافق التوحيد . وغير ذلك من مظاهر الشرك في عقيدتهم كما سيأتي في (آية ٧٩) وما أنسب ما قاله مؤرخ "مسيحي مشهور وهو ليكي (Lecky)[١] :

" تحولت المسيحية إلى الشكل الذي يماثل تماماً الديانات الشركية والوثنية القديمة "[٢]

وهم أبعد عن هدي إبراهيم عليه السلام بشهادة كتبهم اليوم ، جاء في إنجيل يوحنا : "أنا أعرف أنكم أحفاد إبراهيم . ولكنكم تسعون إلى قتلي ، لأن كلمتي لا تجد لها مكاناً في قلبوكم . إني أتكلم بما رأيته عند الأب ، وأنتم تعلمون بما سمعتم من أبيكم ، فاعترضوه قائلين : أبونا هو إبراهيم . فقال يسوع : لو كنتم أولاد إبراهيم لعملتم أعمال إبراهيم

[١] William Edward Hartpole Lecky مؤرخ إيرلندي ومنظر سياسي (١٨٣٨م -١٩٠٣م)
[٢] المسيحية دراسة وتحليل ص ١٢٥

ولكنكم تسعون إلى قتلي وأنا إنسان كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله وهذا لم يفعله إبراهيم"[1]

ونقول كما جاء في القرآن على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿... فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الأنعام: ٨١-٨٢

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾

فائدة (٩٣)

فيه أنْ يُوجَّه المسلمون بأن يأخذوا دينهم عمن ثَبت في إسلامه ، ورسخ في علمه وعُرف بعلمه وصلاحه واستقامته . وعدم الاستعجال في ترميز مَن انتقل حديثاً للإسلام ، لأن ارتداد هؤلاء يُحدث صدمة في المتابعين أو من أُعجب به وبشخصيته ابتداءً ، سواء كان ارتداده عن قصد تشويه صورة الإسلام ، أو بغير هذا القصد .

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

[1] يوحنا ٨/٣٧-٤٠

فائدة (٩٤)

هذه مقالة أهل الكتاب وسلوكهم .ونتعلم منها بمفهوم المخالفة الروحَ التي ينبغي أن يكون عليها الداعية ،من بذل الخير ، ونشر العلم ، وعدم كتمانه حتى لو أدَّى ذلك إلى أن يفوقَنا تلاميذُنا، وتنصرف الأنظار إليهم من دوننا . وخذ نموذجا مشرقاً على ذلك في قصة غلام الأخدود وهم في أرض نجران التي جاء وافد أهلها للنبي ﷺ ، وجرت مناظرتهم وبيان بطلان عقيدتهم بعد تحريفها في هذه السورة . في قصة غلام الأخدود مع الراهب الذي علَّمه ، جاء فيها ما قاله الرسول ﷺ " فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي " .[1] هكذا يكون التجرد للحق وحسن القصد .

ومهما يكن فنيَّةُ الداعية المُخْلِصِ لربه : بأنْ يعلم يقيناً ، أنَّ كلَّ ما حازه هو محضُ فضلٍ من الله عزوجل يؤتيه من يشاء .

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

فائدة (٩٥)

في هذه الآيات نجدُ تجليةً لحقيقة الشرك ، الذي يتضمنُه دينُ النصارى المحرَّف باتخاذهم المخلوقين أرباباً من دون الله .يقول ابن تيمية رحمه الله تعليقاً على هذه الآية : " فبيَّن تعالى

[1] صحيح مسلم برقم (٣٠٠٥)

أن من يتخذ الملائكة أرباباً فهو كافر، مع اعتقاده أنهم مخلوقون ، فإنه لم يقل أحد قط : إن جميع الملائكة والنبيين مشاركون لله – سبحانه – في خلق العالم .[1]

وتحدث الشيخ سفر الحوالي وفقه الله عن هذه القضية في تطبيقاتها المعاصرة لدى النصارى فقال " أما السلطة الكهنوتية فلا وجود لها في الإسلام، لا بالشكل الذي رأيناه سلفاً في أوروبا النصرانية ولا بغيره. ذلك أن الإسلام -وهو دين التوحيد الخالص- إنما أنزله الله لتحرير العباد، وإخراجهم من عبودية العباد إلى عبادة الله وحده وطاعته دون سواه، في التلقي وفي الاتباع، في المنهج والسلوك، وعلى ذلك جاء الأمر صريحاً قاطعاً فيما يتعلق بصرف أي نوع من أنواع العبادة الكثيرة لغير الله، كائناً من كان مَلَكاً مقرَّباً أو نبياً مرسلاً أو طاغوتاً متألهاً، فالأمر كله سواء، كله كفر: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

وهذا هو الفارق الجوهري الأول في المسألة بين الإسلام والنصرانية المحرفة، فوجودُ هيئةٍ كهنوتية تشرع لخلق الله أمراً أو نهياً في العقيدة أو الفروع هو شرك أكبر بالله تعالى، سواءً أجاء ذلك في صورة مراسيم بابوية، أم قرارات مجمعية، أم منشورات كنسية.وقصة عدي بن حاتم رضي الله عنه - التي ستأتي قريباً- توضح ذلك كل الوضوح؛ ولذلك جاءت دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل الكتاب مناسبة لمقتضى الحال التي كانوا عليها، من عبادة الأفراد وتقديس المخلوقين، فحينما كتب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى طواغيت الأرض يبلغهم دعوته، كان نص كتاب هرقل- زعيم النصارى الروم- هكذا:

" من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم

[1] الجواب الصحيح ٢١٠/١

الأريسيين، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾" وهذا تعريض جلي بأن النصارى يعبد بعضهم بعضاً، وأن الله تعالى يدعوهم إلى الإسلام الذي ينفي ذلك أشد النفي.

وعندما اختلف بعض الصحابة -رضي الله عنهم- مع ابن عباس- رضي الله عنهما- في مسألة متعة الحج احتجوا عليه بفعل أبي بكر وعمر فقال:

"يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقولون: قال أبو بكر وعمر" . هذا مع أن أبا بكر وعمر- رضي الله عنهما- أفضل الأمة وأبعدها عن الأمر بما يخالف الكتاب والسنة.

فأين هذا من قرارات الفاتيكان ، التي ما تزال تصدر بعد المسيح بألفي سنة تحل وتحرم كما تشاء؟ ومسألة إباحة الطلاق وعدمها أشهر من أن تذكر.[1]

فائد(٩٦)

في الآية قضية أخرى تتعلق باستحالة أن يُؤتيَ اللهُ بشراً الرسالةَ ، ثم يحصل عليه من التطوّر والترقي ما يجعله إلهاً كما يدعي بعضُ طوائف النصارى في عيسى عليه السلام ؛أنه كان بشراً يبلّغ رسالة الله ؛ ثم اتحد معه اللاهوت فأصبح إلهاً – تعالى الله – .

وفي تقديري - والله أعلم – أن هذه الآية تبطل أيضاً فكرة اتحاد اللاهوت بالناسوت مطلقاً ؛ حتى على قول القائل منهم أن الاتحاد حصل في رحم مريم عليها السلام فالآية تقرر الفرق الجلي بين الخطاب البشري النبوي وبين الخطاب الإلهي الرباني . ومعلوم من واقع عيسى عليه السلام أن خطابه كان خطابُ رسول وليس إله .

جاء في رسالة يوحنا الاول : " إن الله لم يره أحد قط "[2]

[1] العلمانية ص ٦٥٧

[2] يوحنا الأول ١٢/٤ .

" وذلك نفي عام يوجب أنه لا يرى : لا مجرداً ولا حالاً في دار الدنيا " فإذا كان الرب تعالى لا يراه ناسوت (بشر) فألا يلابسه بطريق الأولى والأحرى والنصارى يزعمون أنه اتحد هو والناسوت وهذا أعظم من الرؤية " [1]

فائدة (٩٧)

قوله ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

فيها أن من الطرق المؤثرة في الإقناع أن تثبت وتظهر أن ما يعتقدونه لا يمكن أن يكون ديناً لله تعالى إذ أنه كفرٌ، أو هو مناقضٌ للدين الصحيح ، كما جاء في كتاب النصارى اليوم وصف إرميا لله عزوجل بالخدَّاع وخداعه عندهم ابتداء دون مقابلة . يقول أرميا النبي للرب : (عندئذ قلت آه أيها السيد الرب . حقا إنك خداع خدعت هذا الشعب ..)[2] وغير ذلك مما تعرف النفوس السوية بطلانه .

❁❁❁❁❁

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

فائد(٩٨)

يقول ابن كثيررحمه الله في تفسيرهذه الآية :

[1] الجواب الصحيح ٦٠٥/١
[2] ارميا ١٠/٤

"يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَخَذَ مِيثَاقَ كُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ مِنْ لَدُنْ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَهْمَا آتَى اللَّهُ أحدَهم مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، وَبَلَغَ أَيَّ مبلَغ، ثُمَّ جَاءَهُ رَسُولٌ مِنْ بَعْدِهِ، ليؤمنَنَّ بِهِ ولينصرنَّه، وَلَا يَمْنَعْهُ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالنُّبُوَّةِ مِنَ اتِّبَاعِ مَنْ بُعِثَ بَعْدَهُ وَنُصْرَتِهِ "[1]

ومن أمثلة ذلك عند النصارى ما جاء في يوحنا من قول المسيح عليه السلام عن تصديق موسى عليه السلام له وتبشيره به : " فلو كنتم صدقتم موسى لكنتم صدقتموني لأنه كتب عني "[2]

يقول ابن كثير في أحد معاني الآية : "قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُ عَمِّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا أُخِذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقُ، لئن بَعَث محمدًا وَهُوَ حَيّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ، وأمَرَه أَنْ يَأْخُذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُمَّتِهِ: لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ليؤمِنُنَّ به ولينصرُنَّه."[3]

ومن مقتضيات الميثاق الذي أخذه الله تعالى هو ما ثبت من بشارة بعض الأنبياء عليهم السلام بمحمد ﷺ وفي كتاب النصارى اليوم من الأمثلة على ذلك الكثير ولعلنا نذكر أمثلة لبعض الأنبياء يبشرون بنبوة محمد ﷺ :

<u>موسى عليه السلام :</u>

١. "أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ " التثنية ١٨/١٨. فهو من إخوة بني إسرائيل أي بني إسماعيل ومثل موسى عليه السلام . فمن سيكون غير محمد ﷺ .
٢. "وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته . فقال : " أقبل الله من سيناء ، وأشرف عليهم من سعير ، وتألق (استعلن) من جبل فاران ؛ جاء محاطاً بعشرات الألوف من الملائكة وعن يمينه يومض برق عليهم "التثنية ٣٣/١-٢

وجبل فاران هي مكة وقد ورد في سفر التكوين أن هاجر وإسماعيل سكنا في فاران وفيها قصة زمزم : " وكان الله مع الصبي فكبر وسكن في صحراء فاران وبرع في رمي القوس "التكوين ٢١:٢٠

[1] تفسير ابن كثير ٧٢٧/٢
[2] يوحنا ٤٦/٥
[3] تفسير ابن كثير ٧٢٨/٢

التثنية ١٥/١٨

داود عليه السلام :

" أنت أبرع جمالاً من كل بني البشر انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد . في جلالك وبهائك تقلد سيفك على فخذك أيها المقتدر ،وبجلالك اركب ظافراً لأجل الحق والوداعة والبر، فتقتحم يمينك الأهوال ، سهامك مسنونة تخترق أعماق قلوب أعداء الملك وتسقط الشعوب صرعى تحت قدميك " إلى أن قال " أخلد ذكرى اسمك في كل الأجيال وتحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد " مزمور ٤٥/٢-١٧

مزمور ١٤٩/

ليبتهج الأتقياء بمجد. ليرنموا على مضاجعهم (٦) تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم (٧) ليصنعوا نقمة في الأمم، وتأديبات في الشعوب (٨) لأسر ملوكهم بقيود، وشرفائهم بكبول من حديد (٩) ليجروا بهم الحكم المكتوب. كرامة هذا لجميع أتقيائه. هللويا

حبقوق ٣/٣

اَللهُ جَاءَ مِنْ تِيمَانَ، وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ. سِلاَهْ. جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ

أشعياء ١٢/٢٩:

"وعندما يناولونه لمن يجهل القراءة قائلين اقرأ هذا فيجيب : لا أستطيع القراءة .

عيسى عليه السلام :

ذكر أبو العباس ابن تيمية في بشارات المسيح عليه السلام بنبينا محمد ﷺ :

" قال يوحنا الإنجيلي : قال يسوع المسيح في الفصل الخامس عشر من إنجيله : " لإن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء "[٢١]

[١] الجواب الصحيح ٤٣٣/٢

[٢] يوحنا ٢٦/١٥ ونصه (وعندما يأتي المعين الذي سأرسله لكم من الآب ، روح القدس الذي ينبثق من الآب فهو يشهد لي) وأيضا انظر يوحنا ٢٦/١٤

يقول الدكتور سفر الحوالي : كلمة الفارقليط مثبتة في نسخة البسيطة " السريانية وفي النسخ اليونانية .[١]

يقول د. سعود الخلف : لفظة " البارقليط أو الفارقليط " وردت هكذا في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٢١ ، ١٨٣١ م في لندن ، أما الطبعات الأخرى فذكرت كلمة "المعزي أو روح الحق " وطبعة الملك جيمس ذكرت Comfouter والتي تعني " المعزي " أما طبعة New American Bible فقد ذكرت كلمة Advocateوالتي تعني " المحامي أو المدافع " [٢] .

درس البرفسيور عبد الأحد داود كلمة (الفارقليط) من ناحية لغوية فقال عنها : إنها لا تعني المعزي أو المحامي وتهجئة الكلمة هي " بارا كليتوس " ParaklYtos ومعناها في الأدبيات الكنسية " شخص يدعى للمساعدة ، محام وسيط " وإن كانت الكلمة اليونانية التي تعني المعزي ليست باركليتوس بل " باراكالون " Paracalon ثم ذكر أن كلمة باركليتوس ParaklYtos هي صورة مشوهة عن كلمة يونانية أخرى هي Periqlytos"برقليطوس " وتعني من الناحية اللغوية " المجد والأشهر والمستحق للمديح " وهذا يعني بالضبط اسم " أحمد " باللغة العربية .[٣]

وقد ناقش شيخ الإسلام معنى الكلمة والمقصود منها في كتابه الجواب الصحيح ٤٣٥/٢ وابن القيم في كتابه هداية الحيارى ص٣٢٥

فائدة (٩٩)

ومعنى قوله تعالى : ﴿ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ﴾ ."أي شيء أعطيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنه . ولا تكتفوا بما عندكم عما جاءكم به ، ولا يحملنكم ما آتيتكم من كتاب وحكمة ؛ على أن تتركوا متابعته ، بل عليكم أن تؤمنوا به وتنصروه ، وإن كان معكم مِن قبله من كتاب وحكمة فلا يغنينكم ، ما آتيتكم عما جاءكم به فإن ذلك لا ينجيكم من عذاب الله "[٤].

[١] الجواب الصحيح ٤٣٣/٢ ، الحاشية (١)
[٢] البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ص١٥١ في الحاشية
[٣] البحث الصريح ص١٥٢-١٥٣ في الحاشية
[٤] الجواب الصحيح ٣٣٢

فيراعي الداعية هذا الجانب ، فقد يحمل النصارى وغيرُهم ما عندهم من الحكمة والفضائل المأمور بها ، على الاكتفاء به عن الإيمان بالإسلام ..فيتنبه الداعية لهذا ، بأن يُثبتَ ما يقتضي الاثبات ، ثم يوضِّح أنه لا نجاة لهم ، إلا باتباع النبي محمد ﷺ والدخول في الإسلام بكليّته ؛ كما قال جل وعلا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ﴾ البقرة: ٢٠٨، وأن ثمة أمور في دين الإسلام ، لم تُذكر في عقائدهم وهي مهمة في الإيمان بالله تعالى ومن ذلك حجُّ بيت الله الحرام ، فجَحْدُهم له كفر منهم بالله .

﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾

فائدة(١٠٠)

منها نتعلم كيف يكون عَرضُ الحقِ بطريقةٍ مؤثرةٍ باستعمال الأدوات البلاغية أثناء الحديث ، من استفهام تقريري أو انكاري ونحوه .

فهذا الأسلوب التحذيري ، التوبيخي لهم ، على إعراضهم عن دين الله ؛ مع أنَّ الكون كله استسلم وخضع لله جل وعلا . فعلام يقبلون تحريف البشر لدين الله وعلام يقدمون تعاليم أحبارهم ورهبانهم على نصوص الوحي المنزل عليهم ؟ وقلوبهم التي بين جنبيهم تنبض مذكِّرة لهم بحق الله عليهم .

من الذي ذل له كل شيء ؟ من الذي سيرجع إليه كل شيء ؟ من الذي سيقفون بين يديه للحساب ؟

لقد ضلوا ؛ إذ عن دين الله أعرضوا .

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾

فائدة(١٠١)

المسلمون هم الوحيدون من بين الأديان الذين يؤمنون بجميع الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله عز وجل حقاً ، ولا يفرقون بين أحد منهم في الإيمان ، وهذا المفهوم يعطي ارتياحاً للمحاور المسلم ، والذي لن يضطر لنفي نبوة أحد من الأنبياء الذين جاءوا بالكتب السماوية ، وما يطرحه الآخرون من دلائل نبوة مَنْ يعتقدون نبوته من الأنبياء ، فإن نبينا محمداً ﷺ أولى بهذه الدلائل وأوضح ثبوتاً لها في حقه . يقول ابن تيمية رحمه الله : "فيمتنع الإقرار بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام مع التكذيب بنبوة محمد ﷺ ، ولا يفعل ذلك إلا من هو من أجهل الناس وأضلهم ، أو من أعظمهم عناداً واتباعاً لهواه ."[١]

فائدة (١٠٢)

في هذه الآية إشارةٌ إلى أنَّ جميع الأنبياء يشتركون في إسلامهم لله عزوجل ، فبعد أن أَمَرَنَا الله تعالى أن نقولَ آمنَّا بالله وبجميع الأنبياء . قال في خاتمة الآية ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ ؛ فهي قاسم جميع الديانات فالأنبياء أولاد علات دينهم واحد وأمهاتهم شتى .يقول د. محمد دراز:إننا نجد راحتنا في الواقع عندما نعلم أن الناس يفكرون تماماً كما نفكر، وأن عقول الإنسانية المستنيرة اتفقت على رأي واحد وأن رسل الله جميعاً عليهم السلام يعزز بعضهم بعضا ويتضامنون في تبليغ حقيقة واحدة . فموسى يعلن أنه من إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام وعيسى عليه السلام لم يأت إلا ليؤيد الرسل والشرائع

[١] الجواب الصحيح ٢٦٤/١

السابقة .ولقد ركز القرآن على هذه الفكرة تركيزاً كبيراً وأكد صراحة أن جميع الأنبياء عليهم السلام أمة واحدة مجتمعة تحت لواء الله تبارك وتعالى .[1]

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

فائدة(١٠٣)

تأتي هذه الآية لتقرر حقيقة شرعية ، بصيغة عامة شاملة فصيغة " من " الشرطية من أبلغ صيغ العموم . وتوضح مصيراً محتوماً ، بعد أن قررت آيات السورة بطلان عقيدة النصارى بعد تحريفها وتبديلها عن دين المسيح .فمهما ابتغيتم ديناً غير الإسلام فلن يقبل منكم .فهو الدين الذي ارتضاه الله وأحب أن نتعبد إليه به .

فائدة(١٠٤)

لما نزلت هذه الآية قال أصحاب الملل : نحن المسلمون فأنزل الله عزوجل : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ آل عمران: ٩٧فحج المسلمون وقعد الكفار [2] .وقد سئل الحسن عن الحنيفية ، قال : حج البيت . وكذلك جاء عن مجاهد في قوله تعالى ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ : قال : حجاجاً . وكذلك جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى﴿حَنِيفًا﴾ قال : حاجاً .

وهذا - والله أعلم - يوضح سبب الحديث عن الحج في سياق بيان ضلال عقيدة النصارى . وحج بيت الله تعالى مما يَحسدُ الأممُ المسلمين على هذه النعمة العظيمة ، في كمال وجمال شريعة الله تعالى وحسن التعبد إليه ، والتذلل بين يديه . فليس أشهى للنفوس المؤمنة من موقفِ العباد في صعيد عرفات يضجّون بالتكبير ، والتهليل ، والدعاء . أتوه مقبلين ، شعثاً ،

[1] مدخل إلى القرآن الكريم ص ٧٠
[2] الطبري ٣ /٤٣٣

غبراً ، يرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، فهم عباد الله حقاً وأولياؤه صدقاً .فأنَّى لغيرهم مثلُ هذا الموقف العظيم ؟!

فلهذا كان الحج شعاراً للحنيفية .

﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣ ﴾

فائدة(١٠٥)

في هذه الآية إشارة لشريعة إبراهيم عليه السلام السمحة ، وهي الإسلام ونفي الحرج فيها ، وهو أحد جوانب الاتفاق مع شريعة نبينا محمد ﷺ كما تقدم .

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ ﴾

فائدة(١٠٦)

قد يسترعي الانتباه هنا استعمال كلمة (بكة) في سياق الحديث عن موضع المسجد الحرام ولما كانت السورة قد نزلت في جدال أهل الكتاب ؛ نجد من المدهش أن هذا الموضع (بكة) ذكر صريحا في كتاب النصارى الذي بين أيديهم ، ويصف حال الحجيج بمشهد لا ينطبق أبدا إلا على حجاج المسلمين .

ورد في النص الانجليزي للترجمة الشهيرة للعهد القديم والمعروفة باسم نسخة الملك جيمس King James Version في مزمور ٨٤ /٦ :

in whose heart are ways of them ،"blessed is the man whose strength is in thee The rain also filleth the ،who passing through the valley of Baca make it awell every one of them in Zion appeareth ، they go from strength to strength،pools before God"

ولا حظ كتبت الكلمة بالحرف الكبير B مما يدل على أنها اسم عَلم وفي الترجمة العربية غُير لوادي البكاء :

طوبى للساكنين في بيتك أبدا يسبحونك ، طوبى لأناس عزهم بك ، طرق بيتك في قلوبهم . عابرين فى واد بكة (وادي البكاء) يصيرونه ينبوعا المطر، أيضا يغطيه بالبركات . يذهبون من قوة إلي قوة ، يرون قدام الله في الأرض المقدسة لله "[1]

وهذا الوصف يتعذرأن يجده شُرَّاحُ الكتابِ المقدسِ على الحقيقة إلا في حجاج البيت العتيق . ينقل اللاهوتي القس "جورج بوش" عن "روزنمولر" قوله " إن الجزء الأول من المزمور الرابع والثمانين لا يمكن إيضاحه بمثالٍ خيرٍ من – ولا يسأ فهم مقصدنا !- أولئك الذين يحجون إلى مكة "[2]

وقد قام الباحث فيصل بن علي الكاملي بدراسة النص العبراني لهذا المقطع من الآيات وخلص إلى هذه الترجمة :

" طوبى للعاكفين في بيتك دأباً يهللونك .طوبى لأناس عزهم بك فجاج بيتك في قلوبهم البادين بوادي "بكة" من عين يشربون .ومن بركات المشرع ينعمون . من جبل إلى جبل يسعون ينظر الله إليهم بأرض غيرذات زرع "

تأمل هذا النص وما ورد في القرآن :

﴿ٱلَّذِى جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾ الحج: ٢٥

﴿يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧﴾ الحج: ٢٧

[1] مزامير ٨٤/٤-٧

[2] يجدونه مكتوبا عندهم -ص١٣٥

﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ آل عمران: ٩٧ منها زمزم بلا شك وهنا يقول " من عين يشربون"

﴿ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴿٩٦﴾ ﴾ آل عمران: ٩٦ وهنا يقول " ومن بركات المشرع ينعمون"

﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ البقرة: ١٥٨ وهنا " من جبل لجبل يسعون "

﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ﴾ إبراهيم: ٣٧ وهنا "بأرض غير ذات زرع "

وفي الحديث (إن الله يباهي بأهل عرفات ملائكة السماء فيقول انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شعثا غبرا)[1] وهنا " ينظر الله إليهم "

فكانت هذه الآية من القرآن الكريم حجة عليهم في أن بيت الله عزوجل الذي ارتضاه ورضي عمن يحجه ، ويقصده ، ويباهي بحُجَّاجه ، وجعل فيه آياته منها ﴿ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ آل عمران: ٩٧ كل ذلك دليل على أن من قام بما أحبَّ هُمْ أولى بالحق وأتَبْعُ للصراط المستقيم . فأين تذهبون ؟

وتأمل هذا الوصف الذي سأورده من كتبهم وعلى ماذا ينطبق بلا تردد ؟

" ولم تكن المدينة في حاجة إلى نور الشمس أو القمر لأن مجد الله ينيرها والحمل مصباحها ، ستسير بنورها الأمم ويأتيها ملوك الأرض بكنوزهم ، ولا تقفل أبوابها أبدا طول النهار لأن الليل لا يأتي عليها وستحمل إليها كنوز الأمم وأمجادها ولم يدخلها شيء نجس ولا الذين يعملون القبائح ويدجّلون ، بل فقط الذين كتبت أسماؤهم في سجيل الحياة للحمل "[2]

﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

[1] مسند أحمد برقم (٧٠٨٩)
[2] رؤيا ٢١/٢٣-٢٧

فائدة(١٠٧)

وموضعُ قدمِ إبراهيم عليه السلام أبقاه الله آية على قدرته تعالى ، وعلامة على آثار خليله ، وهذا الأثر لم يدعيه النبي ﷺ وأصحابُه ، بل هو معروف ثابت مِن قبلهم ، وبقي آية على آثار إبراهيم عليه ا لسلام ، الذي ينتسب إليه أهل الكتاب . ومن الآيات بئر زمزم الذي أنبعه الله تعالى لإسماعيل عليه السلام وأمه هاجر في قصة أشار لمعناها كتاب النصارى ، كما في التكوين (٢١/١٨-١٩) . وماء زمزم ما زال قائماً إلى يومنا هذا ولله الحمد وقد جعلها الله : "مباركة ، إنها طعام طُعم "[١] و" شفاءُ سُقم "[٢].

فائدة(١٠٨)

﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾

أريدُ الإشارةَ فقط لشعور السعادة ، والسكينة ، والطمأنينة ، الذي ينتاب من حَلَّ في تلك البقاع الطاهرة . لقد تَنوَّعت عبارات المسلمين الجدد في وصف ما يشعرون به ، وهم في أكناف الكعبة البيتِ الحرام حتى قال قائلهم لما سئل عن شعوره : أشعر ، وكأني الآن في الجنة . مما يجد من سعادة تغمرُ فؤادَه .

وقد جعله الله منزلاً محرماً لا يُسفك فيه دمٌ ،ولا ينفر صيده ، ولا تلتقط لقطته ولا يختلى خلاه.

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا

[١] صحيح مسلم برقم ٢٤٧٣
[٢] أبو داود الطيالسي برقم ٤٥٩ والسنن الكبرى للبيهقي برقم ٩٦٥٩

حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُمۡ مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

فائدة (١٠٩)

من عرف واقع الأوس والخزرج قبل مبعث النبي ﷺ ، وما كان بينهم من حروب كثيرة في الجاهلية كما في يوم بُعاث من عداوة شديدة وضغائن ، وإحن طال بسببها قتالهم .

وكيف صاروا لما جاء الإسلام إخواناً متحابين بجلال الله ، متواصلين في ذات الله متعاونين على البر والتقوى ؛ علم أن هذا الدين لا يمكن أن يكون إلا من عند الله شرح قلوبهم ، وألف بينهم يقول دكتور دراز : " عندما نرى مجتمعاً منقسماً منذ القدم تأكله الأحقاد والحروب الداخلية ، يصبح بين يوم وليلة مجموعة من الإخوة المتحابين في الله .. هذا التحول المفاجئ في نفوس الناس لا يرجع بطبيعة الحال إلى عمل بشري ، بل ولا يمكن أن يتحقق لو اجتمعت من أجله قوى الأرض جميعاً .. إن من يملك القلوب وحده هو الذي يستطيع أن يجعلها هكذا "[1]

﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

فائدة(١١٠)

في هذه الآية دلالةٌ على أهميّة تخصيصِ طائفةٍ، أو قسمٍ ، أو مكتبٍ للدعوة ، وفي موضوعنا تخصيص مكتب لدعوة أهل الكتاب . فتحديد المسؤوليات والتركيز في العمل ؛ ثمرته ستكون

[1] مدخل إلى القرآن الكريم ص ٧٨

عظيمة بعون الله . والله عز وجل وعد هؤلاء ببشارة عظيمة جليلة يتمنَّاها جميعُ العباد ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾.

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥﴾

فائدة(١١١)

وهذه الآية تحوي توجيهاً لنا بألا نَفْتَرِقَ ونَخْتَلِفَ ، كما فعل من كان قبلنا ، ومن صفة الاختلاف المذموم ، ما ذكره أبو العباس ابن تيمية رحمه الله : "تفرق أهل الكتاب في النبي صلى الله عليه وسلم كلٌ يقول فيه قولاً هو نظير تفرق سائر الكفار فإن الكفار بالأنبياء من عادتهم أن تقول كل طائفة فيه قولاً يناقض قول الطائفة الأخرى ، وكذلك قولهم في الكتاب الذي أنزل عليه وأقوالهم كلها أقوالٌ مختلفة باطلة ، وهذا هو الاختلاف المذموم " [١]

فلعلك تجدهم اليوم يضربون الأمثال للنبي ﷺ ، فتارة يقولون هو مدعي للنبوة وليس بنبي ، وتارة يقولون أساطير الأولين اكتتبها ، وتارة يقولون هو نبي العرب ولم يبعث لغيرهم ، ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ١١٦﴾ الأنعام: ١١٦ . نتعلم نحن المسلمين من هذا أن تكونَ رؤيتُنا في مناظرةِ أهلِ الكتاب واحدة ومرجعيتُنا واحدة. وأصول استدلالِنا واحدة ، وإن اختلفنا في عَرْضِها ، لكن تبقى الصورة المؤثرة على حقيقة الإسلام متسقة .

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٨﴾

[١] الجواب الصحيح ١/١٢٠

فائدة(١١٢)

في هذه الآية وفي تسعةِ مواضعٍ غيرها من السورة ، جاء الحديث عن الله جل وعلا بصيغة الجمع ، وهذه شُبهة يطرحها بعض النصارى ، يزعمون أنَّها تؤيِّد معتقدَهم الفاسد، أن الله تعالى ثالث ثلاثة – زعموا - وليس فيما ذكروا مستمسك .

يقول ابن تيمية رحمه الله : " وهذا مما احتج به نصارى نجران على النبي ﷺ فاحتجوا بقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ ﴾ قالوا : وهذا يدل على أنَّهم ثلاثة ، وكان هذا من المتشابه الذي اتبعوه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وتركوا المحكم المبين الذي لا يحتمل إلا واحداً ؛ فإن الله في جميع كتب الإلهية قد بيَّن أنَّه إلهٌ واحد وأنه لا شريك له ، ولا مثل له .

وقوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ ﴾ لفظٌ يقع في جميع اللغات على مَن كان له شركاء وأمثال ، وعلى الواحد المطاع العظيم ، الذي له أعوان يطيعونه ، وإن لم يكونوا شركاء ولا نُظراء والله تعالى خلق كل ما سواه ، فيمتنع أن يكون له شريك أو مثلٌ، والملائكة وسائر العالمين جنوده تعالى قال تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ المدثر: ٣١.وقال تعالى ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾ الفتح: ٧ فإذا كان الواحد من الملوك يقول :إنا ، ونحن . ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك فمالك الملك رب العالمين رب كل شيء ومليكه ، هو أحق بأن يقول :إنا ، ونحن مع أنه ليس له شريك ولا مثيل بل جنود السموات والأرض ."[1]

﴿.. وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ... ۝١١٠﴾

فائدة(١١٣)

ما أروع هذا الأسلوب الذي يُبشِّر من آمن بالخير ، وعلى هذا النهج ينبغي أن يسير الداعية ؛ فيظهر لمن يدعوهم محاسنَ الإسلام وفضلَه ، وما أُعد لمن آمن من خير في الدنيا والاخرة . ليُظهر الداعيةُ جوانبَ يُسرِ الشريعة وكمالِها ، وثمرةَ التوحيد في النفسِ المؤمنة ، والسكينةَ والطمأنينةَ التي يُرزقها من بذكر الله عمر وقته على الوجه الذي يرضي ربه . ولْيُبشِّر الداعيةُ

[1] الجواب الصحيح ٨٠٩/١

مِن يؤمن ، بمغفرة الذنوب ، والنعيم المقيم في دار الخلود .كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ المائدة: ٦٥ – ٦٦. وكذلك ما اختص به مؤمنو أهل الكتاب : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ القصص: ٥٤. ومن محاسن شريعة الإسلام ما ذكره أبو العباس ابن تيمية رحمه الله :

"وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَصَائِصَ مَيَّزَهُ بِهَا عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَجَعَلَ لَهُ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا، أَفْضَلَ شِرْعَةٍ وَأَكْمَلَ مِنْهَاجٍ.

كَمَا جَعَلَ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَهُمْ يُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً هُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ، هَدَاهُمُ اللَّهُ بِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ قَبْلَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ وَسَطًا عَدْلًا خِيَارًا، فَهُمْ وَسَطٌ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَفِي الْإِيمَانِ بِرُسُلِهِ، وَكُتُبِهِ، وَشَرَائِعِ دِينِهِ مِنَ الْأَمْرِ، وَالنَّهْيِ، وَالْحَلَالِ، وَالْحَرَامِ.

فَأَمَرَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَحَلَّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ، لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنَ الطَّيِّبَاتِ كَمَا حَرَّمَ عَلَى الْيَهُودِ، وَلَمْ يُحِلَّ لَهُمْ شَيْئًا مِنَ الْخَبَائِثِ كَمَا اسْتَحَلَّتْهَا النَّصَارَى، وَلَمْ يُضَيِّقْ عَلَيْهِمْ بَابَ الطَّهَارَةِ، وَالنَّجَاسَةِ كَمَا ضَيَّقَ عَلَى الْيَهُودِ، وَلَمْ يَرْفَعْ عَنْهُمْ طَهَارَةَ الْحَدَثِ، وَالْخَبَثِ كَمَا رَفَعَتْهُ النَّصَارَى، فَلَا يُوجِبُونَ الطَّهَارَةَ مِنَ الْجَنَابَةِ وَلَا الْوُضُوءَ لِلصَّلَاةِ، وَلَا اجْتِنَابَ النَّجَاسَةِ فِي الصَّلَاةِ، بَلْ يَعُدُّ كَثِيرٌ مِنْ عُبَّادِهِمْ مُبَاشَرَةَ النَّجَاسَاتِ مِنْ أَنْوَاعِ الْقُرَبِ وَالطَّاعَاتِ حَتَّى يُقَالَ فِي فَضَائِلِ الرَّاهِبِ: " لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً مَا مَسَّ الْمَاءَ ". وَلِهَذَا تَرَكُوا الْخِتَانَ مَعَ أَنَّهُ شَرْعُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَتْبَاعِهِ.

وَالْيَهُودُ إِذَا حَاضَتْ عِنْدَهُمُ الْمَرْأَةُ، لَا يُؤَاكِلُونَهَا، وَلَا يُشَارِبُونَهَا، وَلَا يَقْعُدُونَ مَعَهَا فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَالنَّصَارَى لَا يُحَرِّمُونَ وَطْءَ الْحَائِضِ.

وَكَانَ الْيَهُودُ لَا يَرَوْنَ إِزَالَةَ النَّجَاسَةِ، بَلْ إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ أَحَدِهِمْ قَرَضَهُ بِالْمِقْرَاضِ، وَالنَّصَارَى لَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ نَجِسٌ يَحْرُمُ أَكْلُهُ أَوْ تَحْرُمُ الصَّلَاةُ مَعَهُ."[1]

﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

فائدة (١١٤)

على الداعية أن يعرض النماذج المشرقة ، ممن اعتنق الإسلام وحسن إسلامه ، فهذه النماذج تكسر حواجز التردد لدى المدعو ، وتُقِيمُ عليهم الحجة . وكما فعل الرسول ﷺ بعد إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه . كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٩ . وكذا إظهار تأثُّرِهم وفَرِحهم بإسلامهم وخشوعهم لله .وقد أُلفت كتبٌ في هذا المعنى تحكي قصصَ إسلام عدد ممن كان على دين النصارى ، كنماذج تشجع البقية على اتخذا القرار ، فليكن هذا الجانب مَحلَّ رعاية منك أخي الداعية .

[1] الجواب الصحيح ١/٧٨-٧٩

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

فائدة(١١٥)

ضَرْبُ المثلِ من أساليب الدعوة والإقناع ، حريٌّ بالمحاور والمناظر أن يستعملها في حواره مع غير المسلمين .فالأمثال تقرب الصورة البعيدة ، وتستفز كوامن العقول ، لتلتقط حقائق الأمور . وقد عني القرآن الكريم بضرب الأمثال وقال جل في علاه : ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ العنكبوت: ٤٣. وفي كتاب النصارى سفر للأمثال كما هو معلوم .

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾

فائدة(١١٦)

بعد آيات مجادلة أهل الكتب في هذه السورة ، تحدث الله عز وجل عن غزوة أحد ، ومن المناسبات في هذا ، أن المجادلة تنفع في مواضع ، والجهاد ينفع في مواضع أخرى ، وكلٌ منهما ينفع حيث لا ينفع الآخر ، وأن استعمالهما جميعاً أبلغ في إظهار الهدى ودين الحق .

فأهل الذمة والعهد والمستأمن منهم لا يجاهد بالقتال ، فهو داخل في أمر الله تعالى بدعوته ومجادلته بالتي هي أحسن ، أما الظالمون الذين ظهرت الحجة فينفع معهم القتال وجهاد السيف والسنان .فناسب أن تكتمل منظومة العمل لأجل الدين فلا يصار للقتال ، إلا

للضرورة ولو أن الناس آمنوا بالبرهان والآيات ، لما احتيج إلى القتال . (الجواب الصحيح ص١٤٤ –بمعناه).

يقول ابن تيمية رحمه الله :

ولهذا كان الواجب على المسلمين إذا جادلهم اليهودي والنصراني ، أن يجادلوه بالتي هي أحسن إلا من ظلم من الطائفتين ، فإنه يعاقب باللسان تارة وباليد أخرى ، كما أمر الله رسوله بجهاد الظالمين من هؤلاء ، فجاهد النبي صلى الله عليه وسلم اليهود الذين كانوا بالمدينة النبوية وحولها وقريبا منها ، كما جاهد بني قينقاع والنضير وقريظة وأهل خيبر وأهل وادي القرى وغيرهم وكما جاهد النصارى عام تبوك غزاهم بالشام عربهم وعجمهم "[1]

فائدة(١١٧)

الهزيمة العسكرية وما يصاب به المؤمنون في حروبهم من بعض الانكسار أحياناً لا يدل على تخلف الحق عنهم ، بل يصيب الله تعالى به لحكمة عنده ، وفيه دروس للمؤمنين وتمحيص لهم ورفعة والعاقبة للمتقين ..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠﴾

فائدة(١١٨)

جاءت هذه الآية في ثنايا الحديث عن قصة غزوة أحد والدروس التي فيها ويمكن استشراف قضيةٍ مهمةٍ جداً ، في ضبط العمل الدعوي والجهادي وهو (الجانب المالي) ، في تمويل العمل ودعمه ، والبعد عن مصادر التمويل المحرم ، أو المشبوه وأنَّ هذا الحرصَ سببٌ لنجاح العمل الدعوي كما ختم الآية هنا ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ .. والله أعلم .

[1] الجواب الصحيح ٥٧٢/١

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

فائدة (١١٩)

هذه صفة إمام الدعاة نبينا وسيدنا محمد ﷺ مع أتباعه بأبي هو وأمي : ﴿ لِنتَ لَهُمْ ۖ ﴾ "فسهلت لهم خلائقك ، وحسنت لهم أخلاقك" . وهكذا فليكن الداعية في دعوة الناس لدين الله تعالى . وكأنه مفتاح النجاح الدعوي إذ ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ . وهذه صفته ﷺ في كتاب النصارى اليوم : " هو ذا عبدي الذي أعضده .. مُختاري الذي ابتهجت به نفسي .. وضعت روحي ليسوس الأمم بالعدل لا يصيح ولا يصرخ ولا يرفع صوته في الطريق لا يكسر قصبة مرضوضة .. وفتيلة مدخنة لا يطفئ (والجملتان كناية عن رفقه ورحمته وصبره وحلمه على الناس) .إنما بأمانة يُجري عدلاء لا يكل ولا تثبط له همة : حتى يرسخ العدل في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته أنا الرب : دعوتك لأجل البر .. وأخذت بيدك وحفظتك وجعلتك عهدا للشعب .. ونورا للأمم : لتفتح عيون المكفوفين وتطلق سراح المأسورين في السجن لتهتف الصحراء ومدنها وديار قيدار المأهولة ليتغن بفرح أهل سالع (لعل المقصود المدينة والتي فيها جبل سلع المعروف وهم الذين فرحوا بخروج النبي ﷺ) وليهتفوا من قمم الجبال وليمجدوا الرب ويذيعوا حمده في الجزائر (هو مثل ما يحصل للحجاج من تكبير وتهليل في قوافلهم) يبرز الرب كجبار.. يستثير حميته كما يستثيرها المحارب .. ويطلق صرخة حرب وأقود العمى في سبيل لم يعرفوها من قبل وأهديهم في مسالك يجهلونها .. وأحيل الظلام أمامهم إلى نور .. والأماكن الوعرة إلى أرض ممهدة .. هذه الأمور أضعها .. ولن

أتخلى عنهم .. أما المتوكلون على الأصنام .. القائلون للأوثان : أنت آلهتنا : فإنهم يُدبرون مُجللين بالخزي "[1]

فائدة (١٢٠)

من أساليب الدعوة المؤثرة ، عرض جوانب من سيرة المصطفى ﷺ ، وبيان ما كان عليه الصلاة والسلام من الخُلق الرفيع مع أهله ، وأصحابه . ورحمته بالعالمين . و ما كان عليه من التواضع في المأكل والملبس ، وبساطته في حياته ﷺ والتي تكسب القارئ في سيرته محبة له ، وقناعة بأنه لم يكن طالباً لدنيا ، ولا مبتغٍ مُلكاً - بأبي هو وأمي - عليه الصلاة والسلام . ونموذج لهذا العرض الدعوي ما صاغه الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه " مدخل إلى القرآن الكريم "[2] وأيضاً في الكتاب المتميز:

(A Brief Illustrated Guide To Understanding Islam) في الفصل السادس من الباب الأول عن حياة النبي ﷺ البسيطة .

وقد مر بي موقف أثناء حديثي مع مهندس ألماني كان يبدي انفتاحاً للحديث عن الإسلام ، فكلمته بحماس وتلقائية عن شخصية النبي ﷺ وختمت قولي له : " صِدقاً لو قرأتَ عن حياة النبي محمد ﷺ ستحبه " فرأيت كأن عيناه تلمعان تأثراً ، وما ذاك في ظني إلا لما جعله الله عز وجل من قدرللنبي ﷺ ومحبة فطرية في قلب كل منصف .

فائدة (١٢١)

ولعلنا نستعرض بعض الصفات في السورة ، والتي جاء الثناء على أصحابها من الله تعالى ؛ وحرص كل داعية أن يصيب منها نصيباً ، لكملت أدوات دعوته ، وعظم تأثيره ، وعلت منزلته ..فالداعية الموفق يمضي في ركاب ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ، ولربه من ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ، وعليه من ﴿ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ ، يتفكر ويتأمل لأنه من (أولي الألباب) ، يملك وعياً ونظراً ثاقباً للأحداث فهو من (أولي الأبصار) .والداعية المسدد صاحب سنة ، مقتفٍ للأثر يعرف ميزان

[1] أشعياء ٤٢ باختصار يسير
[2] مدخل إلى القرآن الكري ص٢٧-٣٦

﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ ، نذر نفسه لله ، وسار حبُ الدعوة منه مجرى الدم ، يهتف مع رفاقه في كل مضمار ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾.هو في زمرة ﴿الصَّادِقِينَ﴾ وفي محرابه من ﴿الْقَانِتِينَ﴾ ، وفي سبيل الله لأمواله من ﴿الْمُنْفِقِينَ﴾ ، وبالأسحار هو من ﴿الْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ ، امتلأ يقيناً بالحق فلم يكُ من ﴿ٱلْمُمۡتَرِينَ﴾ ،اختار أن يكون في واقعه من ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾، وفي مدارج الصعود من ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ، الذين قال الله في صفتهم في هذه السورة ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ بمثل هذه الصفات ينجح الداعية ويفلح ولا ريب .

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾

فائدة(١٢٢)

والمقصود بالآية أي : يخوفكم بأوليائه المشركين .وهذا الشعور بالخوف قد يأتي للمناظر والمحاور والمجادل .فإذا علم أن هذا من الشيطان، ليفت في عضد أهل الحق ثبت المسلم في لقائه وحجته ، كما ثبت موسى عليه السلام في موقفه مع فرعون وسحرته :

﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩﴾ طه: ٦٧ - ٦٩

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣ ﴾

فائدة (١٢٣)

يتوقف بعض النصارى في اتخاذ قرار اعتناق الإسلام انتظاراً لآية خاصة تأتي على صورة منام أو نحوه .وقد واجهت مَن هذه صفته ، ومع أننا لا ننفي حصول هذا الأمر لبعض الناس ، إلا أن الأصل أن الآية والمعجزة تأتي لإثبات صدق الرسالة والدين وليس من لوازمها أن تأتي لكل أحد ، فحيث أجرى الله تعالى المعجزة على يدي نبيه أو أحد من أتباعه فهي دليل صدقه وصدق رسالته .

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤ ﴾

فائدة(١٢٤)

فيه أن الإيمان والتصديق بيد الله تعالى وليس عدم إيمانهم قصور في حجتك إذا اجتهدت في عرض الحق بأسلوب واضح بيِّن ، بل قبلك كُذب أنبياء جاءوا بالبينات .وفي باب الدعوة إلى الله لا تقاس الأعمال بالنتائج بل تقاس بالعمل في سبيل إيصال الرسالة ، أما القبول فهو إلى الله تعالى وحده ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ القصص: ٥٦ .

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾

فائدة(١٢٥)

وهنا حقيقة لابد أن يعيَها الدعاة وتستقر في نفوسهم ، أنه لا بد أن يصيبهم في سبيل دعوتهم لربهم الأذى والبلاء ، كما لاقى أسوتنا رسول الله ﷺ من أعدائه ما لاقى .وسيبسط الأعداء ألسنتم لهم بالسوء .ويرمونهم بما ليس فيهم ، ويقعدون لهم كل مرصد ، وقد أحسن فهماً الحكيم لقمان عندما أوصى ابنه بالصبر بعد الدعوة فقال : ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ ﴾ لقمان: ١٧

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

فائدة(١٢٦)

على الداعية أن يوصل الرسالة بوضوح لعلماء أهل الكتاب وأحبارهم ورهبانهم ، وعلى رأسهم البابا ومن دونه أن مسؤوليتهم أمام الله عظيمة وكتمانهم للحق الذي عرفوه ، تبعته أليمة . فلا يقدِّموا الفاني على الباقي ولا يشتروا بآيات الله وميثاقه ثمناً قليلاً فإن فعلوا فبئس ما يشترون .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

فائدة(١٢٧)

في هذه الآيات العظيمة المؤثرة ، يعلمنا الله تعالى وسيلة من وسائل التعرف عليه ؛ بالتفكر في مخلوقاته وآياته ، وتأمل الحكمة من الخلق والغاية منه . وكأن هذا الكون بأفلاكه ونجومه كتابٌ مفتوح لطالب الهداية .

فائدة(١٢٨)

فيه أهمية توضيح الحكمة والغاية من الخلق مع مَنْ تحاورهم فكثير ممن قابلتُ من غير المسلمين لا يعي حقا غاية وجوده والهدف من حياته والله يقول ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ .

فائدة(١٢٩)

أهمية ذكر الله تعالى في ثبات الداعية ، وتوفيقه للحق ،وقول الصواب ، وعمل السداد . فليس ثمة شيء يشغله عن ذكر الله تعالى قياماً وقعوداً وعلى جنب .ولذا نلحظ كيف كان موسى عليه السلام حريصا في دعوته مع أخيه هارون أن يحققوا هذا المعنى ﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ طه: ٣٣ - ٣٤

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾

فائدة(١٣٠)

وفي هذه الآية فائدة جليلة ، إذ أن بعض الناس تفتنه القوة ، ويأسره النفوذ ، فيرتهن هواه بمحبة هؤلاء الذين تقلبوا في البلاد ، يعميه ذلك عن رؤية الحق إلا من خلالهم ، ويوقن أن مظانّه في مرضاتهم .

وقد أكد الله تعالى في هذه الآية أن تقلُّبَ هؤلاء في البلاد ليس بشيء ، وتمكنهم ليس دليلا على صلاح منهجهم ، وصواب طريقهم ، بل غاية ما هنالك ، أنه متاع قليل مصيره إلى زوال .وعاقبته إلى وبال .

وقد لمست هذا المعنى في نظر بعض الشعوب المسيحية للقوى والدول العظمى في العالم وابتهاجهم وانبهارهم بهم في قوتهم وطغيانهم ، وحزنهم لما يصيبهم ويرغم أنوفهم .

خاتمة

وأخيراً هذا ما تيسر إعداده في هذا الموضوع المهم عظيم الشأن ، ومازالت السورة تضم كنوزاً في حوار النصارى وإلزامهم الحجة . وقد تعرضنا لبعض المحاور التي آمل أن تكون نواة انطلاق للدعاة في دعوتهم لدين الله الحق المبين . شملت حججاً تبطل معتقداتهم الفاسدة ، ورودوداً على شبهاتهم الداحضة ، وأشارت لوسائل نافعة في دعوتهم ، ولاحترازات يحسن التنبه إليها في حوارهم ، وتوجيهات للدعاة وصفاتهم وغير ذلك . فما كان فيه من حق وصواب وخير فمن الله وحده ، هو الذي وفق وسدد وأعان ، وما كان فيه من زلل وخطأ ، فمن نفسي فهي حري أن تَقصُرَ عن بلوغ المأمول . ومن الفأل الحسن أنْ كان تمام هذا البحث في يوم الجمعة المبارك ، الذي هدانا الله له وأضل عنه اليهود والنصارى .. وأسأل الله تعالى أن يبارك في هذا الموضوع وأن يجعله نافعاً لمن قرأه ، ومقبولاً عنده جل في علاه ، يبلغ تأثيره مبلغاً يكون لي فيه

ذخراً وعلماً ، يُنتفع به بعد الموت . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

توقيع /

وأنا أقرأ هناك في كتاب النصارى ..

كانت تأتي في خاطري النصوص والآيات القرآنية ..

تأتيني بقوة سبكها وبجلالها ...

تَعرِض لي بإحكام ألفاظها وسمو معانيها ...

وكأنها في شدة ترابطها منحوتة في لوح معدني ....

قد يكون من غير الإنصاف مقارنة النص القرآني بنص كتابهم ..

لأن نصوصهم مترجمة عن أصول مفقودة ...

لكن لو حاولت أن تعقد مقارنة بين المعاني والمعاني ..

لوجدت كم هو عظيم قرآننا ..

حينها تزداد يقنياً أن ما بين أيدينا ..

تنزيل من رب العالمين ..

كتبه توفيق بن محمد أبو حوسة العويضي .

يوم الجمعة المبارك الموافق لـ السابع عشر من شهر ذي القعدة عام خمس وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة نبينا محمد ﷺ الموافق الثاني عشر من شهر سبتمبر عام أربعة عشر وألفين من الميلاد المتداول للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. صحيح البخاري -مؤسسة الرسالة ناشرون ، تحقيق عز الدين صلي ،عماد الطيار، ياسر حسن

٣. صحيح مسلم -دار قرطبة - تحقيق نظر الفريابي

٤. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لأبي العباس بن تيمية .
طبعة البيان بتحقيق سفر الحوالي ، وكذلك طبعة دار العاصمة بتحقيق عبد العزيز العسكر وحمدان الحمدان

٥. عتاد الجهاد أحمد ديدات -دار الفضيلة - نقلها للعربية على الجوهري

٦. جامع البيان عن تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري - دار ابن حزم ودار الأعلام

٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي - دار ابن الجوزي

٨. تفسير القرآن العظيم لابن كثير -دار ابن حزم - تحقيق محمد إبراهيم البنا

٩. تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور -دار سحنون – تونس

١٠. تفسير القرآن الكريم لا عثيمين -دار ابن الجوزي

١١. المختصر في التفسير - مركز دراسات التفسير

١٢. قصص التوراة والانجيل لعمر الأشقر – دار النفائس

١٣. هداية الحيارى لابن القيم - تحقيق محمد الحاج- دار القلم

١٤. خرافة الالحاد –د.عمرو و شريف – مكتبة الشروق الدولية

١٥. الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم -محمد علي البار–دار القلم

١٦. المسيحية -ساجد مير – دار السلام للنشر والتوزيع

١٧. كيف تدعو نصرانيا إلى الإسلام - أنس القوز – مكتبة العبيكان

١٨. مباحث في أصول الدين -ابن عثيمين

١٩. العلمانية - سفر الحوالي – مكتب الطيب

٢٠. دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية -محمد علي البار–دار القلم

٢١. يجدونه مكتوبا عندهم - فيصل بن علي الكاملي - البيان

٢٢. مناظرات ابن تيمية لأهل الملل والنحل - عبد العزيز آل عبد اللطيف - البيان

٢٣. مناظرتان في استكهولم بين أحمد ديدات والقس السويدي استانلي –نقلها للعربية علي الجوهري - دار الفضيلة

٢٤. البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح – زيادة الراسي تحقيق سعود الخلف .

٢٥. الاختيار بين الإسلام والنصرانية - أحمد ديدات – نقله للعربية أكرم الشريف-دار العبيكان

٢٦. الله يتجلى في عصر العلم –نخبة من علماء الطبيعة - داروحي القلم

٢٧. دفاع واعتذار لمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن- جون ديفنبورت –درا الكتب العلمية

٢٨. مسند الإمام أحمد - دار السلام للنشر والتوزيع

٢٩. تطبيق الكتاب المقدس - من متجر أبل

٣٠. المكتبة الشاملة

٣١. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية

٣٢. موقع شبكة الإسلام

٣٣. نبوءات الكتب المقدسة في ضوء اعترافات اليهود والنصارى-عصام الخزرجي - دار المقتبس

٣٤. مدخل إلى القرآن الكريم – محمد عبد الله دراز-مؤسسة اقرأ

٣٥. الدليل من الأناجيل على أن نصارى اليوم يعرفون محمدا كما يعرفون أبناءهم – محمود عبد الرزاق – المكتب الإسلامي .

٣٦. ميثاق الإيمان – عيسى السعدي – دار ابن الجوزي .

٣٧. التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة – سارة العبادي – دار طيبة الخضراء

المحتويات

مقدمة ١
فائدة (١) : ٢
بين اسم السورة ونسب المسيح ٢
فائدة (٢) : ٣
الحروف المقطعة وبراعة الاستهلال في الحوار ٣
فائدة(٣) ٣
(الحي القيوم) ليس إلهاً من لا يتصف بهاتين الصفتين على التمام ٣
فائدة (٤) ٤
التعريف بالإسلام قبل الخوض في غمار الحديث عن التناقضات ٤
فائدة(٥) ٤
صفات الله تعالى بين القرآن وكتاب النصارى المحرف ٤
فائدة (٦) ٥
دلالة التعبير بـ (نَزَّلَ) في الإشارة لصدق القرآن الكريم ٥
فائدة (٧) ٥
معنى قوله (مصدقاً) والجوانب الدعوية في معانيها ٥
فائدة(٨) ٧
يتعذر إقامة دليل على نبوة موسى وعيسى عليهما السلام مع بطلان نبوة محمد ﷺ ٧
فائدة (٩) ٧
وصف الهداية المرتبط بكتب الله هل ينطبق على كتاب النصارى الحالي ٧
فائدة(١٠) ٨
قصور علم المسيح عليه السلام عن علم الغيب فلا يعلمه إلا الله تعالى ٩
فائدة (١١) ٩
تقلب المسيح عليه السلام في الرحم شاهد على أنه مخلوق مربوب ٩
فائدة(١٢) ١٠
نقض احتجاجهم على ألوهية المسيح عليه السلام بإحيائه الموتى ١٠

فائدة (١٣) ١١
رد المتشابه للمحكم منهج محكم ١١
فائدة (١٤) ١٢
افتقار الداعية لسؤال الله تعالى الثبات على دينه ١٢
فائدة (١٥) ١٣
نادِ مَن تدعوهم : افتحوا قلوبكم لتصلوا للحق ١٣
فائدة (١٦) ١٣
وسيلة دعوية : من صدق في دعائه لله بالهداية هداه ١٣
فائدة (١٧) ١٢
من هو الذي يتصدى لمناظرة أهل الكتاب ؟ ١٢
فائدة(١٨) ١٢
بابٌ : العلم قبل القول والعمل ١٢
فائدة (١٩) ١٤
ضع مخالفك في موقعه الصحيح ١٤
فائدة (٢٠) ١٤
النبوءات المستقبلية وسيلة دعوة بالغة الأثر ١٤
فائدة (٢١) ١٥
عرض مثالين في السورة للنبوءات المستقبلية ١٥
فائدة(٢٢) ١٦
فائدة (٢٣) ١٧
تأييد الله تعالى لنبيه ﷺ وإظهاره على عدوه دليل على صدقه ١٧
فائدة (٢٤) ١٧
الاغترار بمتاع الدنيا يصرف عن الحق ١٧
فائدة (٢٥) ١٨
أسلَموا وتغلبوا على شهواتهم فأبدلهم الله سعادة أعظم ١٨
فائدة (٢٦) ١٨
شهادة الله لنفسه على وحدانيته ، فهل شهد المسيح لنفسه ؟ ١٨
فائدة (٢٧) ١٩
الحق ليس دعاوى بل حجج وبراهين ١٩
فائدة (٢٨) ١٩
علماء الطبيعة والإيمان ١٩
فائدة (٢٩) ٢٠
الإعجاز العلمي وأثره ٢٠
فائدة (٣٠) ٢٠
رضي اللهُ العظيمُ الإسلامَ لعباده ديناً يحقق عبوديته فماذا بعد رضاه ؟ ٢٠
فائدة (٣١) ٢٣

احترام الإسلام موقف جميل ولا يكفي للنجاة دون اعتناقه ٢٣
فائدة (٣٢) ٢٣
اليهود والنصارى مطالبون بإثبات معتقدهم أيضاً ٢٣
فائدة (٣٣) ٢٤
آفة الحقد والحسد وصدها عن قبول الحق ٢٤
فائدة (٣٤) ٢٤
اختلاف أهل الكتاب على الحق ٢٤
فائدة (٣٥) ٢٥
التعريف بالإسلام أولاً ٢٥
فائدة (٣٦) ٢٦
التوحيد أولاً ٢٦
فائدة (٣٧) ٢٦
من عوامل التأثير إظهار كثرة أتباع الدين الإسلامي ٢٦
فائدة (٣٨) ٢٦
متى تطلب من غير المسلم الدخول في الإسلام ؟ ٢٦
عرض موقف يصف التأثير السلبي للبدء بالحديث عن التناقضات ٢٦
فائدة (٣٩) ٢٧
رد شبهة من يقول إن النبي ﷺ نبي العرب فقط ٢٧
فائدة (٤٠) ٢٧
ادخلوا في السلم كافة ٢٧
فائدة (٤١) ٢٧
ليستقر في نفس الداعية : إنما عليك البلاغ ٢٧
فائدة (٤٢) ٢٧
تخويف النصارى وغيرهم بصفات الله المقتضية اطلاعه عليهم من الأساليب المؤثرة ٢٧
فائدة (٤٣) ٢٨
الفرق بين المحاجة والدعوة ٢٨
فائدة(٤٤) ٢٨
تاريخ الكنيسة الدموي في مواجهة الذين يأمرون الناس بالقسط ٢٨
فائدة (٤٥) ٣١
الرجوع لكتبهم في إقامة الحجة عليهم ٣١
فائدة(٤٦) ٣١
انصاف المخالف ٣١
فائدة (٤٧) ٣٢
المقدمات الفاسدة تؤول لنهايات خاطئة ٣٢
فائدة (٤٨) ٣٢
بيان الحال والمآل المخالف لتصورات المخالف ٣٢

فائدة (٤٩) ٣٣
من شواهد النبوة المحمدية انتقال الملك والسيادة لأمة إسماعيل عليه السلام ٣٣
فائدة (٥٠) ٣٥
لا تيأس من دعوة أحد مهما كان ماضيه أوماضي قومه ٣٥
فائدة (٥١) ٣٥
الهداية هبة ربانية ٣٥
فائدة(٥٢) ٣٦
المسلم الجديد والبيئة القديمة ٣٦
فائدة (٥٣) ٣٦
المحافظة على المسلم الجديد وأولويات الدعوة ٣٦
فائدة (٥٤) ٣٦
تربية المسلم الجديد على مراقبة الله من وسائل ثباته ٣٦
فائدة (٥٥) ٣٧
كلما زادت المحبة زاد الاتباع ٣٧
فائدة (٥٦) ٣٧
قصة زكريا عليه السلام في القرآن والتوراة ٣٧
فائدة (٥٧) ٣٨
منهج القرآن في احترام الأنبياء وتوقيرهم ٣٨
فائدة (٥٨) ٣٩
إنه من ذرية مريم لم يكن إلهاً ٣٩
فائدة(٥٩) ٣٩
قصة ميلاد يحيى عليه السلام توطئة لميلاد المسيح عليه السلام ٣٩
فائدة(٦٠) ٤٠
أُعيذَ المسيحُ عليه السلام من الشيطان فإلى من كان الملتجأ ؟ ٤٠
فائدة (٦١) ٤٠
مقام مريم عليها السلام في الإسلام ٤٠
فائدة (٦٢) ٤١
بر عيسى عليه السلام بأمه بين القرآن وكتاب أهل الكتاب ٤١
فائدة (٦٣) ٤٢
تأويلهم الضال لقوله تعالى (بكلمة منه) والرد عليه ٤٢
فائدة (٦٤) ٤٤
إعادة قراءة نص الكتاب المقدس ٤٤
فائدة (٦٥) ٤٤
لماذا قال (وكهلا) ؟ ٤٤
فائدة (٦٦) ٤٥
عيسى عليه السلام لم يكن رسولا إلا لبني إسرائيل ٤٥

فائدة (٦٧) ٤٦
ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ٤٦
فائدة (٦٨) ٤٦
خبر خلق الطير ٤٦
فائدة(٦٩) ٤٦
قدرة المسيح لا تستقل عن مشيئة الله ٤٦
فائدة(٧٠) ٤٧
تصديق عيسى عليه لمن قبله ونسخه لبعض الأحكام يماثله ما حصل على يدي محمد ﷺ ٤٧
فائدة(٧١) ٤٧
نداءات عيسى عليه السلام لقومه أن يتقوا الله كافية في معرفة من الإله ؟ ٤٧
فائدة(٧٢) ٤٨
حقا فالجميع عباد لله ٤٨
فائدة(٧٣) ٤٨
لمن يلتجئ الحواريون أتباع عيسى عليه السلام في إجابة دعواتهم ؟ ٤٨
فائدة (٧٤) ٤٩
بيان معنى قوله تعالى (متوفيك) ٤٩
فائدة (٧٥) ٥٠
وما قتلوه وما صلبوه ٥٠
فائدة (٧٦) ٥١
خطاب الله لعيسى يؤكد أن عيسى لم يكن له شيء من صفات الألوهية ٥١
فائدة (٧٧) ٥١
من المقصود بقوله (الذين اتبعوك فوق الذين كفروا) ٥١
فائدة (٧٨) ٥٢
من وسائل الدعوة عرض قصة المسيح كما هي في القرآن ٥٢
فائدة (٧٩) ٥٢
بين آدم وعيسى عليهما السلام ٥٢
فائدة (٨٠) ٥٣
لماذا اختص عيسى بوصفه " كلمة الله " دون آدم ؟ ٥٣
فائدة (٨١) ٥٤
المباهلة ٥٤
فائدة (٨٢) ٥٥
قصة مريم بين سورة مريم وآل عمران ٥٥
فائدة(٨٣) ٥٥
ومهيمناً عليه ٥٥
فائدة (٨٤) ٥٦
فائدة(٨٥) ٥٧

قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ٥٧
فائدة(٨٦) ٥٧
اعتزاز المسلم بدينه ٥٧
فائدة (٨٧) ٥٧
إشهاد الخصم على الحال التي يكون عليها خصمه ٥٧
فائدة (٨٨) ٥٧
الصدح بكلمة الحق ٥٧
فائدة(٨٩) ٥٨
كيف صح وصف إبراهيم عليه السلام بالإسلام ولم يصح وصفه باليهودية والنصرانية ؟ ٥٨
فائدة (٩٠) ٦٠
لا يحق لمن لا يؤمن بالقرآن أن يقيم منه الحجة على دينه ٦٠
فائدة(٩١) ٦٠
لا نقل ولا عقل ٦٠
فائدة (٩٢) ٦١
إبراهيم عليه السلام نقطة بداية مناسبة للحوار مع أهل الكتاب ٦١
إن أولى الناس بالحق هم أولى الناس بإبراهيم .فمن هم ؟ ٦١
فائدة (٩٣) ٦٢
المهتدي حديثا للإسلام لا ينبغي أن يُقدم ليكون منظرّاً له ؛ حتى ترسخ قدمه فيه ٦٢
فائدة (٩٤) ٦٣
أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي ٦٣
فائدة (٩٥) ٦٣
الشرك في النصرانية المعاصرة ٦٣
فائد(٩٦) ٦٥
إبطال فكرة اتحاد الناسوت باللاهوت ٦٥
فائدة (٩٧) ٦٦
فائد(٩٨) ٦٦
ميثاق الإيمان بالرسول ﷺ والبشارة به ٦٦
فائدة (٩٩) ٦٩
كل فضيلة لن تكتمل إلا بالإيمان بمحمد ﷺ ٦٩
فائدة(١٠٠) ٧٠
أدوات عرض مؤثرة ٧٠
فائدة(١٠١) ٧١
ونحن له مسلمون ٧١
فائدة (١٠٢) ٧١
الأنبياء جميعهم مسلمون ٧١

فائدة(١٠٣) ٧٢
وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ٧٢
فائدة(١٠٤) ٧٢
لماذا الحديث عن الحج في سورة آل عمران ٧٢
فائدة(١٠٥) ٧٣
نموذج يشير لشريعة إبراهيم عليه السلام السمحة ٧٣
فائدة(١٠٦) ٧٣
لماذ قال بكة ولم يقل مكة في هذه السورة ؟ ٧٣
فائدة(١٠٧) ٧٦
مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ٧٦
فائدة(١٠٨) ٧٦
(وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) ٧٦
فائدة (١٠٩) ٧٧
إئتلاف القلوب بسبب الإسلام بعد تفرقها آية على صدق رسول الله ﷺ ٧٧
فائدة(١١٠) ٧٧
تخصيص أقسام للتعريف بالإسلام في مكاتب الدعوة ٧٧
فائدة(١١١) ٧٨
اتفاق الرؤية والأهداف للعاملين في الدعوة مهم وإن تنوعت الأدوات والرسائل ٧٨
فائدة(١١٢) ٧٩
رد الشبهة المتعلقة بالحديث عن الله تعالى بصيغة الجمع ٧٩
فائدة(١١٣) ٧٩
نبشرهم بما لهم إذا أسلموا ٧٩
فائدة (١١٤) ٨١
عرض قصص من أسلموا وكيف أسلموا من عوامل التأثير ٨١
فائدة(١١٥) ٨٣
الضبط المالي في العمل الدعوي ٨٣
فائدة(١١٦) ٨٢
وتلك الأمثال نضربها للناس ٨٢
فائدة(١١٧) ٨٢
بين المجادلة والمجالدة ٨٢
فائدة(١١٨) ٨٣
الانتصار المادي المؤقت ليس مقياسا لصواب المنهج ٨٣
فائدة (١١٩) ٨٤
الخلق الحسن أعظم رسل الدعوة ٨٤
فائدة (١٢٠) ٨٥
سيرة النبي ﷺ من أعظم دواعي اعتناق الإسلام ٨٥

فائدة (١٢١) ٨٥
صفاتٌ للدعاة من السورة ٨٥
فائدة(١٢٢) ٨٦
مشاعر الخوف عند المواجهة ٨٦
فائدة (١٢٣) ٨٧
المعجزات والآيات تأتي لبيان صدق الدين ولا يلزم أن تكون لكل أحد ٨٧
فائدة(١٢٤) ٨٧
تسليةٌ للدعاة ٨٧
فائدة(١٢٥) ٨٨
واصبر على ما أصابك ٨٨
فائدة(١٢٦) ٨٨
تخصيص علماء أهل الكتاب بالنصيحة ٨٨
فائدة(١٢٧) ٨٩
التفكر من وسائل الوصول للحق ٨٩
فائدة(١٢٨) ٨٩
عندما يفهمون الغاية من وجودهم ٨٩
فائدة(١٢٩) ٨٩
فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ٨٩
فائدة(١٣٠) ٩٠
افتتان الناس بالقوى المادية وانعكاس ذلك على إيمانهم ٩٠
خاتمة ٩٠
توقيع / ٩١
المصادر والمراجع ٩٢